
رواية
قواعد
الموت
محمود قشطة

رواية

قواعد الموت

محمود قشطة

الكتـــــاب: **قواعد الموت**

المــؤلـــــف: **محمود قشطة**

تصميم الغـــلاف: **إسلام مجاهد**

المراجعة اللغـوية: **جمال يوسف**

رقـــم الإيـــداع: 2017 / 28279

الترقيـم الدولــي: 0 - 183 - 779 - 977 - 978

الإخــراج الفنـــي: **مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع**

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com



العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البــــلد، القاهـــــرة

هاتف: 0223909119 **- موبايل:** 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

رواية

قواعد الموت

محمود قشطة



إهداء

إلى هذا القاتل الذي يسكن بين جنباتي وطياتي دون أن أشعر.. أشكرك يا عزيزي على كل ما قدمته لي من عون لإتمام هذا العمل، فقد أرهقتك وأرهقتني، إلى أن مررنا بنجاح في تلك الرحلة.. لكني أخبرك أن رحلتنا معًا لم تنتهِ بعد، فربما ننجز معًا بعض المهام على أرض الواقع.

عندما يتحول الصياد إلى فريسة، يتحول كل شيء إلى النقيض.. في لعبة بلا أخلاق، أصبح لزامًا عليه أن يصطاد صائده وهو في موقع الفريسة..

القواعد

أهـلاً بك، أنا مُقلك في تلك الرحلة، ربما تعرفني، وربما لا، لكن لتتأكد أننا في نهاية الرحلة سنكون قد وطدنا علاقتنا ببعضنا البعض. وقبل أن نخوض في أي شيء، أريدك أن تعي تمامًا أن رحلتنا تلك يجب أن تغلفها السرية التامة، فنحن يا صديقي، واسمح لي أن اعتبرك صديقي بشكل مجازي، فأنا لا يوجد لي صداقات قط، فكل شيء يدور في حياتي هو أمر سري، وكذلك رحلتنا تلك التي سأصحبك خلالها في عالم مغاير عليك. سنتخطى معًا بعض الأبواب المحظورة، إنها أبواب العالم الخلفي، لكننا سندلف من الباب الخاص بي، لتتعرف معي على قصتي في هذا العالم، الذي أعد فيه مجرد نقطة صغيرة في بحر كامل لا يمكنك اجتيازه بمفردك. عليك أن تلحق بإحدى سفن النجاة رفقة ربان بارع في العبور بين غياهب الظلمات.. لكن أولاً لتعلم من أنا.. أنا أحد رسل الموت، آتيك من حيث لا تعلم ولا تدري، لا أعرفك ولا تعرفني، فتلك هي أولى قواعدي، لا أسماء، لكن لننحي القواعد جانبًا الآن، لتعرفني أولاً وبعدها لتعرف قواعدي..

أنا قاتل، لكني لست بلا أجر، بل إني قاتل مأجور، أنفذ القتل لحساب العديدين، لا يهمك أن تعلم بدايتي، ولكن لتعلم ما أنا عليه الآن فأنا ـ وبلا فخر ـ أحد أمهر القتلة في هذا البلد.. لي حياتان، تلك إحداهما،

قاتلٌ يلعب بالموت بين أصابعه، أعمل لحساب الجحيم، قابضٌ لأرواح الجميع. لست إلا وسيلة تبعث بك إلى آخرتك.. لكن لتعلم أني بشري مثلك، لست مسخًا أو دجالاً أو مذؤوبًا أو ممسوسًا أو حتى من بين أكلة لحوم البشر، أنا رجل عادي، لكن تلك هي مهنتي..

أخبرتك أني أمتلك حياتين، فتلك هي أولاهما، والأخرى هي رجل عادي، أعزب بلا أي أسرة، فقد قطعت نفسي من شجرة البشر، أعمل في أحد البنوك، علاقتي محدودة للغاية في تلك الحياة وحتى في الحياة الأخرى، قليلون هم من يعرفوني، أقطن وحدي في هذا ال.... لحظة، كنت أقطن، فأنا الآن بلا عنوان.. وحتى من قبل كان عنواني محرمًا عليك وعلى الجميع...!!

أن تحيا بين النور والظلام هو أمر صعب للغاية، فصدقني لن يروقك الأمر أبدًا، لكني اعتدت عليه، موظف روتيني في أحد البنوك، أقصى مغامرة له هي القيادة مسرعًا في الصباح للحاق بعمله، وقاتل حين تأتي لي الفرصة المناسبة للقتل.. عندما يكون الأجر مجزيًا، والقتيل يستحق هذا، فتلك قاعدة أخرى.. فكما أخبرتك أنا لي قواعدي..

عذرًا يا صديقي، نسيت أن أصف نفسي إليك.. أنا رجل ثلاثينى قوي البنية، خمري البشرة، طولي يتعدى المائة وثمانين سنتيمترًا، مفتول العضلات، فقد عملت كثيرًا على صنعها، وعملت أكثر على إخفائها. أرتدي ملابس فضفاضة دائمًا، فيجب أن أبقى الموظف الروتيني في

هذا البنك العتيق..

لكن مـاذا عن عملي الآخـر؟ أخبرتك أنـي قاتل، كُنيتي مجهولة للجميع، وأيضًا هي مجهولة لك، لا لشيء، ولكن حفاظًا على حياتك، فقط هناك القليلون يعرفونني كما أخبرتك.. لكن ليس هذا وقته. مهمتي هي القتل، كما أخبرتك في مرات عدة. أتحصل على عملي عن طريق الشبكة العنكبوتية. قاتل يمتلك بريدًا إلكترونيًا تأتيني عليه المهام المطلوبة فأقوم بها، لكن يا عزيزي أنا لست بتلك البلاهة حتى يتم اكتشافي. هناك شركات متخصصة في الخدمات الإلكترونية، أمتلك حسابًا وهميًا تأتني عليه الرسائل. تقوم تلك الشركة بإعادة إرسالها لأحد حساباتي الحقيقية، هنا أعرف المهمة المطلوبة. الأمر ليس بالهين، فتلك الشركة تتقاضى مبالغ طائلة للحفاظ على سريتي وهي تستحق ذلك نتاجًا للعمل المضني الذي يقومون به، من فحص الرسائل وتنقيتها من الهاكرز والخدع التي قد توقع بي. لم يكن الأمر هكذا في البداية، لكنه تطور الآن، لقد بدأ في أميركا في تسعينيات القرن الماضي، تلك الشركات تعطيك امتدادات خادعة مثل @ara.anon.org وغيرها من تلك الامتدادات الإلكترونية فلن تستطيع أن تصل لي إلا إن اخترقت الشركة نفسها، لكني أتعامل مع شركة أخرى تقدم خدماتها للشرق الأوسط. إضافة لحيلة بسيطة ومخادعة يستخدمها الجميع من تحميل أحد برامج الهاكينج لتغيير

الـ IP الخاص بالحاسوب خاصتي. الكثيرون يستخدمونها إما للتمويه أو لفتح مواقع محجوبة في بلادهم بسيرفرات مغايرة. بعد ذلك أقف أمام قواعدي فهي بسيطة وسلسة وسأتلوها عليك..

-أولاً: لا أسماء.. لا يحق لك أن تعلم اسمي ولا كنيتي. وأنا أيضًا لا يحق لي المثل، فالعمل يجب أن يكون سريًا للغاية.. وأيضًا لا لقاءات فقد حرمت الأسماء واللقاءات أيضًا.

-ثانيًا: لي حق الرفض أو القبول فتلك حرية شخصية أمتلكها وأظن أني الوحيد الذي أضع هذا الشرط.. لكني دائمًا لا أقتل إلا من يستحق. فقبل أن يأتيك ردي بالإيجاب أو الرفض أتحرى عن قتيلي الجديد إن كان يستحق مصيره أم لا؟ وإن كنت أريد ذلك أم لا؟ وأيضًا هل أستطيع فعل ذلك أم لا؟ فأنا لست شخصًا خارقًا بل أنا مجرد رجل عادي يمتهن القتل من أجل الحياة، وقد تكون بعض مهامي تلك معقدة لا قِبل لي بها..

-ثالثًا: لا نقاش في الأموال.. فأنا أحبها كما أحب القتل.. بل إني أقتل من أجلها..

ثلاث قواعد بسيطة لكنها صعبة، فأولاها يقودك للتعامل مع المجهول، وثانيها قد يبخر كل أحلامك في حال رفضت تنفيذ طلبك، وثالثها قد تجعل الأمر منتهيًا. فقد أطلب أموالاً طائلة لا تقدر عليها، لكن المبلغ يتوقف على أمرين: قيمة القتيل، وسهولة التنفيذ وصعوبته..

أما عن الأموال، فقد تسألني كيف أحصل عليها.. أخبرتك أني أعمل في أحد البنوك يا عزيزي، فتلك ليست مشكلة، لكن لتعلم كيف تحوّل المال لي. أولاً ستضعه في حساب خاص بى خارجي. هذا الحساب تلقائيًا يقوم بتفتيت الأموال إلى قطع صغيرة وتحويلها لحسابات مختلفة تمر بعمل مشابه إلى أن تصب جميعها في حساب موحد خارجي أيضًا أمتلكه لكن باسم وشخصية مغايرة أحول منه تلقائيًا إلى حساب مصري أمتلكه، لكنه باسم وشخصية أخرى.. فأنا متعدد الشخصيات والمواهب يا عزيزي..

لكن إن أردت أن تتعرف أكثر على ما أملك من مواهب، وما يحويه جرابي من خبايا فدعنا نتخطى مرحلة التعارف الآن ولندخل في صلب حكايتنا تلك..

*****

المهمة الأخيرة

هكذا أسميتها، مهمتي الأخيرة، ليس لأنها آخر شيء قمت به، لكن لأنها سبقت بداية النهاية. كالعادة عرض عليّ أحد الوسطاء العمل عن طريق الشبكة العنكبوتية. أرسل لي يطلب قتل أحدهم. بدأت أقرأ عن تفاصيل الهدف، هو طبيب تعجبت منه في البداية، لكني أخبرتك أني أحظى ببعض القواعد وأني أتحرى عن الهدف إن كان يستحق القتل أم لا؟ فأحيانًا أكون أنا رسول الإنسانية لإبادة بعض البشر الذين لا يستحقون الحياة.. أما طبيبي هذا فقد بدأت أبحث عن سيرته، لا يهمك أن تعرف اسمه أو مَن أراد قتله، فتذكر دائمًا أن تلك هي القاعدة الأولى "لا أسماء". ولتعلم أن كل هذا من أجل الحفاظ على حياتك أنت قبل كل شيء طالما أردت أن تخوض معي تلك الرحلة في هذا العالم الملعون..

ثلاثة أيام من التحري عن هذا الطبيب، استعنت ببعض الأصدقاء، علمت بعدها ما يجعلني أرغب في قتله. فأنا أقتل بدافع الإنسانية. قد تراني مريضًا نفسيًا. ربما يكون هذا هو ضريبة عملي ما بين القتل وما بين خدمة عامة الناس في هذا البنك الذي أقبع فيه يوميًا راسمًا ابتسامة بلهاء على وجهي حتى أستقبلك أنت وغيرك من بني البشر، ألبي طلباتك التي تكاد تكون ساذجة في بعض الأحيان من بعض

الأشخاص الذين لن أتردد لو أتى لي عمل من أجل قتلهم.. لكن لنعود لقتيلي هذا، ما عرفته عنه أنه تاجر وليس طبيبًا. تاجر في أعضاء البشر يمتهن هذا العمل بشكل غير شرعي عن طريق مشفى كبير يملكه. كل شيء يتم في الخفاء. الأمر بدأ منذ زمن، نحن أمام طبيب سلك كل الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى يصل لمبتغاه، بدايته كانت مبكرة منذ مراحل الشباب، كان أحد أطباء العالم الخلفي. عمليات غير مشروعة، أمور مخالفة لكل الضمائر والأعراف، إلى أن دخل في عالم تجارة الأعضاء. بدأ كطبيب يقوم بعمله مقابل الأجر، بعدها تحوّل لسمسار يجلب الزبائن ويجلب المتبرعين أو الضحايا. بعدها توغل أكثر من ذلك حتى أنشأ مشفاه الخاص هذا ليمارس كل أعماله فيه خلف ستار من النبل والطهارة...

أما من أراد قتله فهو أحد شركائه، لكنهما اختلفا مؤخرًا، ومن هنا فاحت رائحته، وعلمت الكثير عن القاذورات التي يرتكبها مخالفًا كل ما تمليه علينا ضمائرنا، وما أقسم به من قسم أبو قراط. لكني لا يهمني الضمائر أو المواثيق المغلفة تلك، بل دائمًا ما كان يدفعني هو شيء في داخلي ألبي به شهوتي في القتل، فربما ـ يومًا ما ـ تكون شهوتي تلك في قتلك أنت.. لكن تأكد لن أفعل ذلك إلا إن طلب أحدهم ذلك، فأنا لا أقتل بلا أجر..

قبلت تلك المهمة، حددت المبلغ الذي يتناسب مع صعوبتها ومع قيمة

القتيل. تأكدت من تحويل نصفه أولاً لأرصدتي بالخارج.. بعدها بدأت أعمل طبقًا لخطتي الموضوعة.. فقتيلي هذا عربيد، لديه سكن خاص في أحد أطراف العاصمة، حيث الهدوء والسكون، يحظى فيه ببعض العاهرات في الليالي التي يقضيها هناك.. تأكدت من وجوده وما كان أمامي إلا أن أواجه الصمت في حالة من الانتظار. في بداية حياتي كنت أملّ منه، لكنه أصبح صديقى الحميم، فالصياد الماهر عليه أن ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض على فريسته.. وها هي لحظتي قد أتت، رأيت تلك العاهرة تخرج من مسكنه في حالة يرثى لها لا تخلو من غنج العاهرات في حركاتها، لكنها كانت سعيدة بعد ما جنته من أموال في ليلتها تلك.. تسللت إلى داخل المسكن بكل سهولة عبر حديقته الخلفية التقطت أذناي صوته البغيض يشدو بإحدى الأغاني الشعبية، لكنه لم ينطقها كما تم غناؤها، بل نطقها بتفاصيل جسد عاهرته تلك. تتبعت الصوت فوجدته يتحمم مستعدًا للخروج من منزله ليعود طبيبًا معروفًا للجميع.. جلست أنتظره في غرفته شاهرًا سلاحي في انتظاره..

لم يطل انتظاري في تلك المرة، بل رأيته يخرج أمامي يلتحف بشكيرًا يحجب به نصفه السفلي، يتدلى أعلاه كرش ليس بالكبير، فوقه كتفان عريضان، وعنق يحمل رأسه الذي تجمدت فيه كل المعاني، إلا من الخوف والدهشة والحيرة هي ما سيطرت عليه. أشرت إليه بالجلوس وأنا شاهرًا سلاحي أمامه. جلس صامتًا في ذهول قبل أن يبدأ حديثه

معي..

-من أنت؟ وماذا تريد؟..

-أنا رسول إليك.. أما ما أريده، فأريدك أن تتذوق هذا..

أنهيت جملتي ثم قذفت له في الهواء كيسًا فيه مادة بيضاء التقطها ببراعة حراس المرمى، ليته كان في ريعان شبابه لكنت دفعت به حارسًا لمرمى المنتخب..

-ما هذا؟..

-هذا يسمونه هيروين سيدي الطبيب.. وأحيانًا يلقبونه بالبيسة..ألا تعلمه..

-وماذا أفعل به؟ أنا لا أعلم عنه شيئًا، إنه ليس خاصًا بى..

-ومن قال إنه ملكك؟ أو إني أتهمك بذلك؟.. هذا الكيس ملكي..

-وماذا تريد إذًا؟..

-لا شيء.. فقط أريدك أن تتذوقه.. وبعدها سأرحل..

-هذا مستحيل أنا طبيب وأعرف أضرار هذا..

-وماذا عن العاهرات، ألا تعرف أضرارهن؟.. وأيضًا ماذا عن تجارتك بأعضاء البشر، ألا تعرف أضرارها؟.. عزيزي الوقت يداهمنا، وأنا لديّ مواعيد أخرى، لتتذوقه حتى أرحل..

أثناء حوارنا هذا حرك يديه ببطء شديد من خلفه، يبدو أنه يبحث عن شيء ما، ويعتقد أني لا أراه، لذا ترجلت من مكاني في جملتي الأخيرة مقتربًا منه وأنا أشير إليه بسلاحي بينما يدي الأخرى طارت في هواء الغرفة لتعلن بعد ذلك توقيعها على رقبته لأضع إمضائي الكريم على قفاه.. لم يعرف ماذا يفعل من هول المفاجأة، بل اندفع للأمام ليرتطم رأسه بالطاولة الموجودة أمامه ليخرج على إثرها سائل لزج دافيء أحمر من أنفه معلنًا إدماءها..

-عزيزي، لا تلعب معي، فأنا لا أريد إضاعة الوقت مثلك..

أخرجت من خلفه سترة بدلته التي تحوي بين طياتها مسدسًا صغيرًا أراد أن يباغتنى به، لكن توقيع يدي الكريمة كان له عنصر المفاجأة الأول.. صفعتان أخريان جعلتاه يبدي طاعة عمياء. تذوق القليل من الهيروين، لكني أخبرته أن يتذوق الكمية بأكملها فنظر لي في فزع..

-لكن تلك الكمية من الممكن أن تودي بحياتي...

-عزيزي، أنت قلت من الممكن، أي أنك تمتلك احتمالاً آخر بالنجاة، فلمَ لا تسعى إليه؟ وإلا فأنا سأقتلك بنفسي..

أرغمته على أن يتعاطى تلك الكمية بأكملها، والتي كانت كفيلة بنقله إلى مثواه الأخير، في عالم غير عالمنا. عدلته في جلسته، وجهه ملطخ بالهيروين والدماء التي تدلت من أنفه، كان في حالة إغماء شديدة،

لكني ساعدته لأتأكد من وفاته.. دفعته إلى تلك الطاولة مستندًا بجسده عليها.. أخذت طريقي إلى خارج المنزل منتزعًا قناعي هذا الذي حجب وجهي عنه طيلة لقائنا.. سلكت طريقي إلى منزلي، أعددت حمامي الدافيء، تركت جسدي يتراخى بين جنبات الماء، لا أفكر في أي شيء، فقط أغفو قليلاً على مقطوعة بيتهوفن التاسعة، فيالا عظمته، أتمّها وهو أصم.. لكني دائمًا ما أستمتع بها..

يومان ورأيت خبرًا في صفحة الحوادث بالبنط العريض "العثور على طبيب شهير صريعًا في منزله نتيجة جرعة زائدة من الهيروين". أما في خبايا الخبر أكدوا أنهم عثروا في هذا المنزل على كيس آخر من الهيروين كنت قد وضعته بعناية متأكدًا من أنه يحمل بصمات قتيلي. فحادثة وفاته أتت بفضيحة له وأصبح الحديث الآن هل أطباؤنا مدمنون؟ وإن كان الطبيب في تلك الحالة، فكيف يكون المريض؟ وكيف نأمن على أنفسنا بين أيديهم؟ ناهيك عن أن هذا أحد أهم أطباء البلد. فضيحة ألمت به، وموت بعيد عن أي شبهة إلا شبهة أخلاقية شنيعة، فما بالهم لو أنهم قد رأوا عاهراته، هذا ما تبادر في ذهني، لكن الخبر ذُيّل بوجود أقراص من الفيجارا أيضًا، وبعض من أنواع الواقي الذكري، بالإضافة لمستلزمات أخرى للمتعة الجنسية..

بعدها تأكدت من تحويل أموالي كاملة إلى حسابي.. أظنك الآن عرفت لمَ أنا من بين الأمهر. أقتل بلا قتل وكأنها وفاة طبيعية.. لكن ما

أصابني بعد ذلك لم يكن طبيعيًا..

بل إنه أمر غير متوقع، بدأ العبث وبدأت الرحلة، لكن لا تتعجل فستعلم كل شيء في موعده، فقد قررت أن أخبرك بكل شيء، فأنا لا أخشى أحدًا حتى أخفي أي تفصيلة بسيطة قد تنال إعجابك، إلا قواعدي الأولى، هي فقط لحمايتك، فالقواعد تبقى كما هي دونما أي عبث..

*****

البداية

ستة أشهر أو يزيد قليلاً مرت عليّ بدون أي عمل يطلب مني، فقد كانت مدة روتينية بين العمل والبيت، إلا من بعض الرحلات الرتيبة التي ينظمها زملائي في العمل. فأنا دائمًا منزوٍ، لكني كنت أشارك حتى أغيّر من روتين حياتي. طيلة تلك المدة لم أتملل أبدًا من تفحص حساباتي الإلكترونية، ربما يكون قد أتى لي عمل جديد.. اليوم كنت منغمسًا للغاية في عملي في البنك، فأنهيته قرابة السادسة مساءً، توجهت إلى منزلي وأنا في قمة الإنهاك. طلبت وجبة أتقوت عليها، فما تناولته من طعام في العمل لم يكن كافيًا لسد حاجتي من الطعام...

جلست أتناول طعامي في صمت وأنا أتابع التلفاز. أدرت مؤشره على إحدى المحطات الإخبارية، لا جديد، أراهم كلهم يعملون لحساب بعضهم البعض، لعبة أخرى لكن يديرها أناس أقوى بكل تأكيد. انتهيت من طعامي ثم تركت جسدي يرتاح قليلاً قبل أن أتصفح البريد الإلكتروني الخاص بي، رسالة جديدة قد وصلتني، يبدو أنه عمل جديد. ازدادت حماستي، وبشدة بدأت أقرأ ما في تلك الرسالة، سطور رتيبة من مقدمة وترحيب، فالمستأجر يريدني أن أنفذ له العديد من العمليات. أخذت أمر على تلك السطور سريعًا، أخبرني في رسالته أنه مستعد لدفع ضعف الثمن الذي أطلبه، لكن قواعدي تبقى كما هي، لا

أتقاضى أكثر مما أطلبه...

بدأت أقرأ عن الهدف المرغوب. أخبرني أنه موظف في أحد البنوك، شاب أعزب، ثلاثيني، خمري البشرة، قوي البنية، طوله يتعدى المائة وثمانين سنتيمترًا، شعرت أني أعرفه، بدأت أسرع من نمط قراءتى للبيانات، أرى في النهاية عنواني واسمي وصورة ضوئية لي وأنا أغادر مبنى البنك حيث أعمل..

لا أعلم أي صاعقة تلك التي مستني، شعرت وكأن قدماي قد غاصتا في أعماق الأرض، وأن رأسي قد علق في أوج السماء، ولساني قد التصق بحلقي عاجزًا عن النطق، وقلبي رفض الحراك مجددًا معلنًا رحيلي إلى عالم آخر، وعقلي قد توقف عن التفكير لثوانٍ معدودة مرت عليّ قبل أن أفهم أي شيء يحدث أمامي أو أدرك هول الأَمر الذي أقدم عليه. الآن هناك من يطلب مني عملاً جديدًا مستعدًا ليضاعف الأجر الذي أتقاضاه، لكن المطلوب قتله هو أنا، لا أعلم أي سخرية تلك التي أراها الآن، هل يطلب مني أحدهم أن أقتلني؟..

بدأ عقلي يعمل وبشدة ويضع كافة الاحتمالات أمامي، إما أن هذا الشخص يريد قتلي لكنيتي العلنية، وهي موظف في أحد البنوك.. لكن من يريد قتلي ويرى في تواجدي مشكلة؟ لم أرَ أني فعلت أي شيء، بل إن طبيعة عملي لا تجعلني في موقف لفعل ذلك. أم أن أحدهم لا يروقه شكلي أو أسلوبي وأنا أنهي متعلقاته يومًا ما، فقرر قتلي، لكن أي مجنون

هذا من يفعل ذلك..

الخيار الآخر أمامي أنه يعرف كنيتي الحقيقية الخفية ويريد أن يلاعبني، أحدهم يريد مداعبتي بطريقة ما. لكن إن كان هذا الشخص يعلم مَن أنا، فلماذا يطلب مني ذلك؟ لماذا يريدني أن أمحيني من الحياة؟ ما زال أمامي الخيار، إما القبول، أو الرفض، وهذا ما فكرت فيه..

لكن هذا أيضًا لا يضعني في أمان، فمن الممكن أن يقوم بتأجير من يقوم بقتلي، وعليّ أيضًا أن أختفي. في كلتا الحالتين لا يوجد أمامي مفر سوى الهروب حتى وإن كان هروبًا مؤقتًا.. لكني لا أعلم ماذا أفعل..

ليلة كاملة عمل فيها عقلي بدون توقف، كل حواسي وتركيزي منصب على ما أنا فيه. سعيت لأضع كل الأمور أمامي في نصابها الصحيح، وكيف لي أن أتجاوز هذا المأزق، لكني في النهاية لم أهتد لشيء لأجد الساعة قد قاربت من السابعة صباحًا وأنا منهك القوى. أعطيت لنفسي اليوم عطلة من عملي ملقيًا بجسدي على فراشي البارد هذا، معلنًا توقف كل التفكير والتعب الذي أحلّ بي، فأنا بحاجة إلى النوم ولو لدقائق قليلة حتى أستطيع أن أعاود التفكير من جديد..

لم أغفُ كثيرًا بعدها، سعيت لأتقوى على أي شيء، فقد باغتني الجوع فجأة، ذهبت لثلاجة المنزل باحثًا فيها عن أي نوع من الطعام لأتناوله.

شراهة شديدة سيطرت عليّ جعلتني أنسى أي شيء آخر، لم أعاود تركيزي إلا في منتصف الطعام. هل هذا طبيعي أن آكل بتلك الشراهة في هذا الموقف؟ هل هول المفاجأة أصابني بالبلادة؟ أم أني بدون أي تركيز، وأتصرف بمنتهى الغرابة.. شعرت فجأة وكأني قد سُدت نفسي عن الطعام، رغم أني لا أمتلك أي امرأة في حياتي، فلمَ تُسد نفسي؟ هذا دائمًا ما كنت أسمعه من زملائي في العمل عن زوجاتهم، لا يحلو لهن طلب الأشياء إلا وقت الطعام، مما يصيبك بغصة في حلقك، تجعلك على وشك التقيؤ مما تسمعه من حديث ليس هذا وقته أو موضعه، فأنا دائمًا ما أتبع تلك القاعدة: لا كلام على الطعام..

عاودت التفكير بكل ما أوتيت من قوة، شعرت بنبضات كهربائية سريعة تعصف برأسي لسرعة تفكيري، وكأني أشعر بكل شيء يدور في داخلي، فأنا ـ ولأول مرة ـ أواجه الموت، بينما أنا من يرسله إلى البرية، أسعى لأعاود دراسة الأمر من جديد، لكني لم أتوصل لأي شيء أفضل مما أنا فيه. عليّ أن أتحرك سريعًا لأعرف من يريد قتلي، ولكن أولاً يجب أن أختفي عن أنظاره وأنظار الجميع حتى أتحرك بمنتهى الحرية، ليست الحرية المطلقة، ولكنها حرية مقيدة بوضعي الحالي، وما يمكنني أن أفعل؟ فوضعي الحالي هو صعب للغاية. في المرات السابقة كنت أتحرى عن قتيلي، ومن خلاله كنت أعرف المستأجر، أما الآن فأنا أبحث عن المستأجر الذي يريد قتلي، أي سخرية تلك

التي أنا فيها الآن.. لحظة.. يا للبلاهة التي أصابتني لمَ لم أتحرى عن بريده الإلكتروني الذي يراسلني منه علّني أصل إلى أي شيء، نعم أعلم أنه من الممكن أن يكون حسابًا مزيفًا، لكن يمكنني أن أصل إلى شيء ما.. لست خبيرًا بما يكفي في عالم التكنولوجيا، لكني أعرف القدر الذي يجعلنى أتعقبه في الوقت الحالي.. نهضت مسرعًا إلى جهاز الحاسوب الخاص بي، بدأت سريعًا أعيد تشغيله، بعد أن أوقفته عن العمل مؤقتًا، فقد أنهك مثلي ويحتاج هو الآخر لقسط من الراحة، ها هي تلك الشاشة تتحول من لونها الأسود إلى ألوان أخرى معلنة عن الحياة تدب في أوصالها لبداية العمل على هذا الحاسوب من جديد، لم يأخذ الأمر مني دقيقتين قبل أن أفتح حسابي الإلكتروني الخاص لأصاب بصاعقة جديدة تدب في أوصالي، فالمرسل ليس شخصًا هينًا أو شخصًا عاديًا..

بل إن المرسل يلاعبني بأسلوبي ذاته، لقد أرسل لي عبر حساب وهمي تابع لنفس الشركة التي أتعامل معها. أعلم قوانينهم جيدًا، لا يمكنني أن أعرف هذا الشخص مهما دفعت، ومهما كانت علاقتي بهم.. لكن الأمر الذي يستوقفني الآن أنه يعرفني ويعرف مَن أنا هل أتى بحسابي من خلال الشركة، أم أنه شخص محترف يلعب بأسلوب مختلف عن الآخرين؟ فكل عملائي السابقين كانوا يستخدمون حسابات وهمية لكنها كلها كانت تتبع الأنظمة المشهورة مثل @yhoo و@gmail، وما

إلى ذلك من مواقع للخدمات الإلكترونية على تلك الشبكة العنكبوتية.. أي أن عميلي هذا شخص يسعى لجعل نفسه بعيدًا عن الشبهات تمامًا، بل إنه يأخذ أكثر طرق الحيطة التي نستعملها نحن القتلة، فرغم أن شركتي تقدم خدماتها للجميع، لكن الدخول إليها يكون قاسيًا جدًا، فلديهم شروط من الصعب الوصول إليها.. الآن بدأ اليقين يدب في أوصالي كلها. فهذا الشخص يعرف ماهيتي الحقيقية، يريد أن يلعب معي، وأنا قد قررت أن ألعب، لكن قواعدي ستتغير تلك المرة، فأنا الآن أواجه شخصًا يتمتع بذكاء وحرص أكثر مما أتوقع..

الموت

ها أنا ذا أراهم يحملوني على الأكتاف مكفنًا في ثوب أبيض منقى من الدنس، بعكس الخطايا التي ارتكبتها في حياتي. زملائي كلهم قد حضروا، وبعض معارفي ممن علموا بأمر موتي قد أتوا. متفحم أنا، قابع في قلب الصندوق الخشبي هذا. حريق قد التهم بيتي وأنا بداخله، تشوهت كل معالمي فلم يعثروا لي على أثر، أراهم الآن يضعون الصندوق أرضًا، يُخرجون الرفات من بينه بحذر، يحملون جثتي المتفحة، فقد نضجت بين جنبات النار في الدنيا، منتظرة لجحيم آخر في آخرة فيها الجزاء من جنس العمل...

أرى الرفاق والجميع ينتحبون رغم كوني بعيدًا عنهم كلهم، لا أعلم، أصدقٌ في المشاعر تلك، أم أنها مجرد تقاليد اعتادوها عندما يوارون أحدهم الثرى؟. مدفن للصدقات وضعت فيه، فلم يعلموا لي بين الأموات مسكنًا يحمل اسمي أو عائلة ألتحق بين ساكنيها في الثرى.. أرى الجميع يرحلون سريعًا فلم ينتظروا لأن يُنهي اللحاد عمله ويواري كامل أشلائي الثرى... اقتربت عندما فرغ المكان منهم، فقط اللحاد وهو يقوم بعمله، أقرأ الفاتحة على قبر يحمل اسمي وأعطي لشيخ يجلس مالاً ليقرأ على الفقيد الذي دُفن ما تيسر من قرآن الهدى..

نعم هذا هو الخيار الذي اعتمدته، قررت الوفاة. أن أوافق على العمل

فأنا بكل الأحوال لم تكن تروقني حياتي بالقدر الكافي، دبرت حياة جديدة هي في الأساس موجودة من قبل لأي أمر قد يطرأ، لكن لم أكن أتوقع أن تكون الأمور هكذا..

أخذت الوقت الذي أمضيه عادة قبل أن أجيب بالسلب أو الإيجاب على أي عملية يتم طلبها مني وأيضًا في تلك الفترة أخذت أدرس تحركاتي التالية جميعها، أحكمت خطتي التي تمنيت أن تسير كما أريد..

بعد انقضاء المدة أتى ردي بالإيجاب، قبلت المهمة، لم أطلب الكثير من المال بما يتناسب معي، فأنا مجرد موظف في أحد البنوك، طلبت تحويل نصف المبلغ قبل البدء في أي شيء، وفور التأكد منه سأقوم بالعمل المطلوب.. لكني وجدت المبلغ المطلوب بأكمله قد تم تحويله إلى حسابي البنكي، العميل عرض الزيادة، ولكني التزمت بقواعدي، فالتزم هو الآخر بها.. بينما الأموال سلكت طريقها المعهود إلى أن سكنت في موضعها النهائي...

خطتي بسيطة، هي أن أمحيني من على قيد الحياة، كل ما قد يتعلق بحياتي الثانية تم إخفاؤه. تركت المنزل في حالة مبعثرة بعض الشيء، ففي نهاية الأمر أنا رجل أعزب أحيا بمفردي فيجب أن يبدو هذا جليًا على منزلي..

الخطوة التالية هي جثة حديثة الوفاة حصلت عليها بمبلغ قد يكون

نصف المبلغ الذي طلبته لأقوم بقتلي، فأنا أردت شابًا ثلاثيني العمر، طوله يزيد عن المائة وثمانين سنتيمترًا، مفتول العضلات، يُفضل أن يكون خمري البشرة.. عثرت على طلبي ودفعت ما طُلب فيه، فإن تحصل على جثة بمواصفات بعينها، أمر يجعلك تدفع أكثر. عرفت أن من سأدعوه أنا قد تعرض للوفاة إثر أزمة قلبية نتيجة لتناوله كمًا كبيرًا من المنشطات. تعمدت أن أصيب وجهه بالحروق وجسده كذلك، بعد ذلك أشعلت النيران في منزلي. الأسلوب كان بسيطًا، تسريب للغاز في مطبخ المنزل، مع شرارة من النار أدت لانفجار المطبخ بأسره، وتلك لم تكن إلا البداية، فمع اشتعال النار في المطبخ حدث ماس كهربائي لسلك من الكهرباء غير مغطى جيدًا كان متدليًا من مكانه بارزًا رآه حارس العقار عمدًا مني عندما طلبت منه بعض الحاجيات، وأخبرته أن يبحث لي عن كهربائي لإصلاح الأمر بعد أن حذرني هو منه، لكني لم أهتم كثيرًا بعدها، ليسفر هذا السلك عن ماس كهربائي يزيد من الأمور إثارة بحريق كامل في المنزل يأتي على الأخضر واليابس ويترك الشقة متفحمة، ولولا وصول رجال الإطفاء مبكرًا على غير العادة، لكانت الشقة المجاورة لي في البناية قد لاقت حتفها هي الأخرى، فقد وصلتها بعض من ألسنة اللهب جعلتها تشعر بسخونة ما تمر به جارتها العزيزة. أنهوا العمل بعد ساعات طويلة ليجدوني مسجيًا على أرض المطبخ. صعوبة كبيرة تطلبها العمل لفريق الطب الشرعي حتى

يزيلوا جثتي التي إلتصقت بتلك الأرضية، فالنيران قد أذابتني، أو هكذا اعتقدوا. أخرجوا ما تبقى من أثر الجثة المشوهة تمامًا أكثر مما كنت أتمنى. بشهادة حارس العقار والسكان فأنا هنا بمفردي ولم يكن يأتيني أحد، أتيت من عملي اليوم ولم أغادر مطلقًا، مع شهادة السلك العريان الذي تبرأ من كل ما فعلته براءة الذئب من دم ابن يعقوب التي أدلى بها الحارس، فقد أقفل المحضر على حادثة تسريب للغاز مع ماس كهربائي قد أدى لتفحم المجني عليه ومن خلفه منزله الذي أعلن حزنه على رحيله منتقلاً لرب البرية، فأخرجوني من المشرحة ليتسلمني جيراني وزملاء لي بالعمل، تعجبوا من غيابي فعلموا أن المنية قد وافتني فأعلنوا الحداد، وها هم قد أدوا مهمتهم، قد واروني الثرى، لآتي أنا هنا الآن لأودع هذا الفقيد الذي ينعتونه بأنه أنا.. فلا تحليل لحامض نووي في تلك البلاد نمتلكه حتى يقولوا إن الـ DNA قد أثبت هوية الفقيد الذي أتيت به من كوكب المشتري.. شراء المال لأي شيء فهذا هو الكوكب الذي نقطنه جميعًا حتى نوارى الثرى..

*****

بعد الوفاة

الآن أنا في طريقي لإحدى المدن الساحلية، لن أخبرك باسمها يا عزيزي، فتذكر قاعدتي الأولى دائمًا: "لا أسماء". لديّ مسكن في أحد أطرافها، شقة في عقار مصيفي أغلب سكانه لا يأتون إلا في وقت المصيف. اتخذت طريقي إليها بسيارة أخرى أمتلكها طبقًا لهويتي التي أنا عليها الآن. مهنتي حسب البطاقة التي أحملها في محفظتي هي حاصل على ليسانس آداب.. لمَ لا فالآداب قد فضلوها على أي شيء آخر، لكنها ليست الهوية البديلة الوحيدة لديّ، ربما في تلك المرحلة أريد أن أحيا بشكل هادئ، وربما تلك الهوية تكون أنسبهم.. وصلت إلى هناك مع اقتراب الشمس من المغيب.. حارس العقار تقدم مسرعًا تجاهي محييًا إياي، فقد تصادف وجوده مع قدومي، فهو يحرس أكثر من عقار تابع لتلك الشركة التي اشتريت منها شقتي تلك، لكنه يقيم في عقار آخر غير الذي أقيم فيه.. رددت عليه التحية والسلام، وساعدني في حمل حقائبي التي كثرت في تلك المرة عن كل مرة يراني فيها. أتى إلى هنا سألني عن الأسباب، فأخبرته أنني قد أقيم هنا لفترة وجيزة، أو قد أقطن هنا دائمًا...

أمضيت حياة روتينية هنا، فقد قررت أن أتحصل على إجازة من أي عمل قرابة أسبوعين قد مرا عليّ. صباحًا أذهب إلى الشاطيء، وأعود

بعدها أتابع التلفاز قليلاً، أو أجلس على الشبكة العنكبوتية أتابع ما فيها من جديد، أو أخرج لأستنشق الهواء ليلاً في أحد الكافيهات على الشاطيء مباشرة...

الاختفاء هو جزء من خطتي، وبعدها سأبدأ التحرك من جديد لمعرفة ماذا سأفعل. لكن يبدو أن الأعمال دائمًا ما تلاحقني، فأنا الآن أتصفح البريد الإلكتروني الخاص بي لأجد رسالة قد وصلتني من مصدر مجهول أيضًا مثل المرة الماضية، أسرعت في الدخول إليها لمعرفة ما فيها من طلبات. تلك المرة نصها أتى كالتالي...

"أحسنت يا عزيزي.. لقد أبهرتنا بعملك.. لدينا لك عمل جديد.. وقتما تكون مستعدًا.. أخبرنا.. نحن بانتظارك".

صيغة الرسالة أرهبتني بعض الشيء، فالآن هو يتحدث وكأني أنا من أنتظره، وليس هو، وفي الواقع هو مصيب في الأمر، فأنا أتوق لمعرفته حتى أفتك به قبل أن أجعل قدمي تخطو فوق عنقه منتقمًا لمقتلي الذي لم يحدث..

ترددت بعض الشيء قبل أن أجيبه، كنت في حيرة من أمري، لكن الفضول هو ما قادني لاكتشاف من يلعب معي. لم أهدر الوقت فأرسلت إليه بالإيجاب، منتظرًا منه العمل الجديد.. وهو أيضًا لم يتأخر عليّ، دقائق قليلة وأتاني رده، فيبدو أنه ينتظر ردي ويريد العمل على أحر من

الجمر.. لكني أنا كنت قد وصلت إلى قمة ما في الجمر من سخونة، فلا أطيق الانتظار الآن.. كبسة زر مني أعلنت عن فتح الرسالة الجديدة..

"مرة أخرى نسعد بالعمل معك، تلك المرة لدينا قتيل جديد.. هو أيضًا شاب خمري البشرة، ثلاثيني العمر، يقطن في مدينة ساحلية طوله يتعدى المائة وثمانين سنتيمترًا...... ".

أكملت القراءة لأجد بعد ذلك صورة أخرى لي وأنا على الشاطيء وتحتها الاسم الجديد الذي أحيا به الآن، وعنوان العقار الذي أقطن به، بل وصورة حارس العقار أيضًا بابتسامة بلهاء تطل على وجهه..

الغضب.. الرهبة.. الخوف.. الاستفزاز.. الـ.. العديد من المشاعر المتضادة التي تملكتني، لم أعد أشعر بنفسي، كل ما تعلمته من تمارين لضبط النفس والتحكم بالأعصاب لم تجدِ معي نفعًا، لم أعد أستطيع أن أنفذها الآن، فمن هذا الملعون الذي يطاردني؟ فأنا بعد لم أتحرك للبحث عنك، وأنت مجددًا تجدني وتريدني أن أنهيني مرة أخرى.. أرى أن الكيل قد طفح، فهذا الشخص يلعب معي ويريدني على شخصيتي الحقيقية.. إنه يريد أن يستفز القاتل الذي بداخلي..

بدون أي تفكير عاودت مراسلته فالقرار هو المواجهة ولا غير.. سؤالي كان مباشرًا له:

"من أنت، وماذا تريد؟.. الألعاب لن تفيد الآن.. فلنكشف أوراقنا.."

مرة أخرى أعود لصديقي العزيز، الصمت، رغم التلفاز الذي يعمل بجواري، ورغم ارتفاع صوته، لكني لم أشعر به، فقط طنين الصمت يأكل عقلي متلهفًا لإجابته عليّ، لكنه تلك المرة لم يكن بنفس السرعة التي كان عليها من قبل، بل أخذ ما يزيد عن الساعة، لم يتوقف عقلي فيها. صراع داخلي كان يضرب كل جنباتي، هل أصبت بردي هذا، أم أنني تعجلت ولم أكن مصيبًا في الأمر؟ فريق بين خلاياي يؤيد ما قمت به، وفريق آخر يرفض هذا التسرع الذي يجعلني فريسة لديه، وفريق ثالث في حيرة من كل هذا، لكن وصول رسالته الجديدة أخرجني من كل هذا، لم أنتظر لبرهة قبل أن أقوم بتصفحها..

"أنا مستأجرك الجديد.. أو سيدك الجديد.. أريدك أن تقوم بالعمل لأجلي.. إن وافقت سنربح معًا كثيرًا..".

رده المقتضب هذا جعلني أشعر بالغضب أكثر، لكني تلك المرة تملكت نفسي بعض الشيء وسعيت لأرسل رسالة أخرى له، لكنه قد سبقني برسالة جديدة.. فتحتها مسرعًا أيضًا:

"إن وافقت على طلبي فسيصلك مندوبي قريبًا.. وإن رفضت، فأنت تعلم العواقب، نحن لا نترك أي شواهد خلفنا مثلك تمامًا.."

الآن الحديث أصبح أكثر سخونة، هذا تهديد مباشر منه لي، إنه يريد إنهائي إن لم أعمل معه، وأنا لا أريد إلا إنهاءه، وهذا لن يحدث إلا إذا

عملت معه. سارعت لمحو رسالتي التي شرعت في كتابتها، لأكتب له رسالة أخرى تبدي مني الموافقة..

"بانتظار مندوبك.. لكن لتعلم أنك بذلك تكسر كل القواعد.. وأنا لن أتنازل أبدًا عن قواعدي، بل إنني سأثأر لها".

لا أعلم ماذا أفعل الآن.. أنا أوافق على العمل معه، وفي نفس الوقت أتوعده.. لكني أتوعد المجهول، شعرت أنني للحظة لا أفكر بالشكل المطلوب، بل أنني صرت كالأحمق، أقع في شراكه فهو قد استفزني جيدًا وأدخلني في لعبته بملء إرادتي وأصبحت ألعب أنا الآن طبقًا لقواعده.. قطعت تفكيري رسالته الجديدة التي بادرت مجددًا لقراءتها..

" ابقَ كما أنت، وسيصلك مندوبي في غضون دقائق.. لكن أحسِن معاملته، فهو رقيق للغاية، وليس من هواة العنف".

لا أعرف أي مجنون هذا الذي يداعبني، لكني كنت أتوق لرؤية مندوبه وبشدة، بل إنني فكرت كثيرًا في أن أقتله فور قدومه إليّ، علّني أشفي غليلي مما يحدث لي الآن..

*****

الوسيط

أعلم أنه يتلاعب بأعصابي، قرابة الساعة وأنا أنتظر هذا الوسيط أو مندوبه المزعوم الذي سيأتي لي. ولمَ لا يكون هو الوسيط نفسه ولكنه يُخفي شخصيته؟. أيًا كان هذا الشخص، فأنا أنتظره الآن وأسعى لأستجمع كل قواي، وإن شئت الدقة فأنا أحاول أن أستجمع شتات نفسي قبل أن أواجهه. حاولت أن أتخيله، أهو رجل قوي البنية، غليظ الملامح، ذو قلب عديم الشفقة، أم أنه رجل أرستقراطي من الطبقة العليا ممن يتلاعبون بالأموال وبالناس سويًا؟ أم أنه...

طرقات ثلاث على باب الشقة التي أسكن بها أخرجتني من كل ما أنا به مرتبكًا ومنتفضًا لأعلم معها جيدًا أنني فريسة سهلة بين شباكه، لكني في خطواتي تلك نحو الباب استجمعت كل ما لديّ من شجاعة، راسمًا على وجهي كل آيات الثقة، أو ما أمتلكه منها..

فتحت باب المنزل ليتطاير كل ما في مخيلتي، أو ما وضعه عقلي من فرضيات عن هذا المندوب الذي سيأتى لرؤيتي.. فأنا الآن أرى أمامي امرأة فاتنة، شقراء الشعر، تضع عدسات لاصقة تضفي لونًا مبهرًا على عينيها، بيضاء البشرة، لم أعرف هذا من وجهها الذي لطخت كل موضع فيه بمستحضرات التجميل خاصتها، بل عرفته من ساقيها

العاريتين، فقد ارتدت فستانًا قصيرًا قرمزي اللون، تنفث بين شفتيها سيجارة لتخرج ما في رئتيها من دخان في وجهي في حركة لم تخل من كل آيات الغنج... وقفت مذهولاً، حسبت أن أحدهم قد طلب لي عاهرة لأحظى بها في ليلتي تلك، لكن صوتها قاطع كل تلك الأطراف التي تتصارع داخل عقلي لتسيطر هي على كل شيء:

-أعتقد أنك تنتظرني؟..

كلماتها تلك أصابتني بارتباك أكثر مما أنا فيه، فحاولت أن أستجمع قواي، فشعرت بالعرق ينساب من كل مكان في جسدي. أدركت وقتها أن الشِراك قد نُصبت حولي جيدًا، وأنني هالك لا محالة، لكنها بادرتني بالحديث مرة أخرى..

-أعلم أنك تخيّلت شخصًا غيري.. ولكن ألم تقرأ في الرسالة الأخيرة.. أن المندوب رقيق للغاية ولا يهوى العنف..

-مَن أنتِ؟..

كانت تلك هي الكلمة التي غادرت شفاتي.. فنظرت إليّ بمنتهى الغنج قبل أن تتخطاني لتأخذ طريقها لداخل شقتي. جلست على تلك الأريكة التي تتوسط الصالة المواجهة للباب لتشير لي أن أغلقه وأذهب لأجلس في مواجهتها.. وجدتني أنصاع كالطفل لأمه وأنفذ ما أشارت لي به.. قبل أن تضع إحدى ساقيها على الأخرى لتبدي أكثر مما كانت تبدي، بل

إنها أصبحت لا تخفي أي شيء منهما..

-ماذا أصابك.. أنسيت القاعدة الأولى: "لا أسماء"؟.. لكن لتقل إنني الوسيطة أو المندوبة بينك وبين سيدي..

-وماذا تريدين أنتِ وسيدكِ.. أو أيًا كان من أرسلكِ إلى هنا، فلتعلما أنكما قد بدأتما نهايتكما.

أطلقت من بين شفتيها ضحكة هي أقرب للخلاعة منها للسخرية.. زادت من غضبي ومن ارتباكي معًا، فمن أين أتيت أنا بكل تلك الثقة في الانتقام من أشخاص لا أعلمهم بينما هم يعلمون عني كل شيء. لكنها أوقفت ضحكتها تلك لتعود للحديث مرة أخرى بغنج مبالغ فيه أثار كل ما في جسدي من غريزة تجاهها للحظة من اللحظات:

-أرى أنك تثق بقدراتك لحد الغرور أحيانًا.. لكن هذا ما نريده.. إن سيدي يريدك أن تُتم له بعض الأعمال كما تفعل، لكنه يريدك أن تلعب على طريقته هو..

حاولت أن أبادرها المناورة مرة أخرى، لكنها أظهرت تماسكًا وثقة أكثر مما أتوقع جلعتني أشك في ذكائي، لاحظت أنني تحولت لفصيل الأغبياء بين ليلة وضحاها..

-ألا تخشين أنتِ وسيدكِ هذا أن أفتك بكِ الآن؟.. يمكنني أن أنهي حياتكِ في ثوانِ.. ألا تهابي قدومكِ إلى هنا؟..

ضحكت بغنج مرة أخرى قبل أن تجيبني من جديد:

-أعتقد أنك أذكى من ذلك.. أتعتقد لوهلة واحدة أنني سآتي إلى هنا بدون حماية؟.. ألا تعتقد أن المكان حولنا مكتظ برجال سيدي؟ قبل أن تفعل بي شيئًا سيكونون هم قد فتكوا بك..

أعادتني مرة أخرى إلى أرض الواقع.. يبدو أنها تعلم جيدًا ماذا تقوم به.. ويبدو أن سيدها يُحكم قبضته على الأمر برمته، وأنا الضحية الوحيدة في تلك اللعبة بأكملها، لكن ليس أمامي أي خيار آخر غير المراوغة..

-حسنًا.. فلماذا أنا؟.. طالما أن سيدكِ يمتلك كل هؤلاء الرجال، وطالما أنهم يمكنهم الفتك بي.. وأيضًا طالما سيدكِ قوي لدرجة أنه كشفني، فلماذا يريد مني أنا الضعيف أن أقوم بالعمل لحسابه؟..

-عزيزي لا تأخذ الأمر بشكل شخصي، فأنت لست بالضعيف.. بل إنك من بين الأفضل.. ولكن سيدي أراد أن يخبرك أنك تتعامل مع الأفضل.. أما لماذا أنت، فنحن نريد منك عدة أعمال لا نريد أن يقوم بها من هم معنا، لذا وقع اختيارنا عليك.. لأنك تقتل بلا قتل..

-وماذا تريدون تحديدًا؟!..

-تحديدًا أنا لا أعلم.. لكن سيدي هو من يقرر، على الأغلب ستقوم بعملك مقابل ما تطلب من المال، بل على الأرجح أكثر من ذلك بكثير..

-ولماذا لم تطلبوا الأمر من البداية بشكل مباشر كما يفعل الجميع..

-أنت لديك قاعدة لا تناسبنا، وهي مبدأ القبول والرفض.. فنحن لا نحب أن نُرفض..

-ولماذا سأرفض طالما أن العرض مقنع؟..

-لأنه في بعض الأحيان قد يكون صعبًا عليك.. أو أنك سترفض قتل هذا الشخص لأسباب لا نعلمها.. لذا أردنا منك أن تقوم بالقتل بدون أي نقاش..

-وإن رفضت الآن، فأعتقد أن خيار الرفض ما زال قائمًا..

-حسنا يمكنك أن ترفض، لكن عليك أن تظل طريدًا، إن لم يكن منا فسيكون من غيرنا، لتقل ممن يريد الثأر لضحاياك السابقين، ولكنه لا يعلم من فعلها..

شعرت بالدماء تنتفض في عروقي، إنها تهددني تهديدًا صريحًا، لم أشعر إلا بنفسي وأنا أركل الطاولة التي تقبع بيننا منتصبًا في وقفتي معلنًا نهاية الحوار.. لكنها ابتسمت بمنتهى البرود، ثم اتبعت تلك الابتسامة بنفس آخر من تلك السيجارة التي تزين يدها، ثم أخرجت من حقيبتها هاتفًا صغيرًا لتضعه على تلك الأريكة قبل أن تعتدل في وقفتها لتنفث دخانها في وجهي، ثم تكمل دورة كاملة حولي في غنج متزايد لتلفظ لي بكلماتها الأخيرة في تلك الجلسة:

-أنصحك بأن تفكر في عرض سيدي.. احتفظ بهذا الهاتف معك، ستتلقى مني اتصالاً بعد ثلاثة أيام لتكون قد حسمت أمرك.. ونصيحتي أن تقبل.. استشر من أردت، وحافظ على هذا الهاتف..

غادرت المكان في طريقها إلى خارج المنزل، فتحت باب المنزل لتخرج منه، ولكنها في الخطوة الأخيرة اعتدلت تجاهي لتلقي لي بجملة أخيرة:

-لتعلم أنك في تلك الأيام الثلاثة ستكون بدون أي مراقبة.. أردت فقط أن أطمئنك، لكن بعدها سنعثر عليك أينما كنت..

مرة أخرى ترمي الكرة في ملعبي وترمي لي بكلمة تؤكد أن اللعبة بأكملها في أيديهم. أنا الآن في موقف لا أحسد عليه، أن أفكر مليًا في الأمر فأنا الآن ألعب طبقًا لقواعدهم. تحركاتي يجب أن تكون مدروسة، ففي تلك الليلة قد دمرت كل خططي، وكأنها بناية جديدة قد انتهت لتوها، وفور الفرح بها انهارت إلى أسفل الأراضين..

لم أحرك ساكنًا لدقائق عدة، بل إنني حتى لم أذهب لرؤيتها من نافذة المنزل وهي تغادر البناية التي أقطن فيها، لكن زمجرة محركات السيارات الكامنة في الأسفل في ظل الصمت السحيق الذي يحيط بنا، مع عدد الأبواب التي أوصدت قبل أن تتحرك تلك السيارات، أخبرتني أنها لم تكن بمفردها، بل أنها اصطحبت قبيلة بأكملها، تلك رسالة

أخرى عليّ أن أستوعبها جيدًا.. فأنا الآن في موقف مغاير أكثر مما توقعت..

*****

صديق

قراري قد اتخذته من البداية منذ أن راسلته موافقًا على مهمتي الأولى، فأنا سأكمل العمل مع هذا الشخص أيًا كان، لا لشيء إلا من أجل الانتقام منه.. لكن الآن عليّ أن أتحرك بأسرع ما يمكن في تلك الأيام الثلاثة. يجب أن أتم تلك الزيارة، كنت أنتوي القيام بها، لكن ما حدث عجّل بالأمر أكثر.. دائمًا ما يوجد لك صديق، أو لنكون أكثر توصيفًا للأمر، شخص كبير يمكنك الاحتماء به أو العودة إليه في مثل تلك المواقف.. رجل من داخل اللعبة، بل من بين قادتها.. أيضًا يا عزيزي عليك ألا تسأل عن اسمه، فأنا الترس البسيط في تلك الآلة العملاقة، قد أكون خطرًا داهمًا على حياتك، فما بالك بدينامو رئيسي يحرك عديد التروس مثلي! فتلك هي العادة، التدرج الهرمي من القاع إلى القمة.. في كل مرتبة ترتقيها تجد سيدًا جديدًا يرتقيك ويحركك أو يساعدك، وهذا هو وصف سيدي أو صديقي هذا، يساعدني ويرشدني ويحركني في بعض الأحيان بأوامر مباشرة، وعليك أن تستمر لتصل قمة الهرم. وكلما كانت القمة أكثر متانة كلما استقر البناء في الأسفل. لكن هرمنا قد تم اختراق وسطه، مما قد يؤثر على قمته ويهيل قاعدته ليدمر البنيان كاملاً..

انتظار لم يكن بالقليل، ولكن عليّ أن أتحمل، فأنا أتيت بغير موعد،

بالإضافة إلى أنه لم يكن يعلم بعد بأنني على قيد الحياة، أو ربما أنه توقع ذلك، لكنني لم أؤكد له الأمر. في قصره الخاص انتظرت في غرفة مجاورة لمكتبه، يجلس بجواري سكرتيره الذي يعرفني جيدًا على المستوى الشكلي، لكنه لا يعلم عني شيئًا على المستوى العملي، فتلك من مميزات صديقي هذا. كلٌّ في موضعه، لا يتعارض مع الموضع الآخر.. إلى أن سمعت صوت النداء يأتي لهذا السكرتير الشاب الذي ترجّل إلى غرفة المكتب الكبرى، بينما تركني قابعًا في تلك الغرفة الصغرى الملحقة بها والتي تحوي مكتبًا متوسط الحجم، بالإضافة لمكتبة صغيرة وأنتريه متوسط الحجم أيضًا يلائم الغرفة، أقبع أنا على إحدى أريكاته في الانتظار، إلى أن خرج إليّ ليسمح لي بالدخول...

الوضع في الداخل مغاير تمامًا.. غرفة فسيحة، إن شئت الدقة هي أقرب لغرفة اجتماعات، تتوسطها طاولة اجتماعات، وفيها مكتبة عتيقة تحوي العديد من الكتب والملفات. وأيضًا يجلس في تلك الغرف مُنقذي الذي أتيت لرؤيته اليوم، رجل ذو هيبة وطلة عظيمة، يجلس خلف هذا المكتب المزخرف بالعاج والأبنوس. أشار لي بالجلوس أمامه فقد كان يُجري اتصالاً أسريًا على ما يبدو، أنهاه في عجل قبل أن يبدأ حديثه معي:

-أولاً دعني أعزيك في وفاتك، فلم يتسنى لي الأمر.. ثانيًا لماذا هذا التخفي؟.. ثالثًا أي كارثة أتت بك الآن؟..

ختم عبارته ثم أطلق ضحكة مقتضبة من بين شفتيه، قبل أن يصمت ليتيح لي الفرصة للحديث. فبادرت أروي له كل ما حدث من البداية وإلى الآن. كانت علامات الاهتمام والتعجب على وجهه، حتى أنه أشعل سيجارًا جديدًا بالرغم من أن الذي بيده لم ينتهِ بعد.. نظر إليّ بصمت وتفكير عميق عقب انتهاء حديثي، قبل أن يأخذ هو الدور في الحوار، لم تكن الكلمات تخرج من بين شفتيه بمنتهى السهولة، بل كان يعلم موضع كل كلمة وما يناسب كل موقف. أخذ يفكر لثوانٍ صامتًا يتأمل تفاصيل وجهي وكأنه يُجري فحصًا شاملاً لكل تعبيراتي، علّه يستشف شيئًا غير الصدق فيما قلت، ليدير هو دفة الحوار:

-أتعلم، لو أن شخصًا غيرك يروي لي ما تقوله الآن لانفجرت في وجهه ضاحكًا.. حتى أنت كان من الممكن أن أفعل معه نفس الأمر، لكنك تبدو صادقًا في القول..

-أعلم أن ما أقوله غير منطقى.. لكن هذا هو ما حدث معي.. ولم آتِ إليك إلا لثقتي بأنك ستساعدني

-ولمَ لا أكون أنا من يفعل هذا بك؟!..

لم أكن أعرف بماذا أجيب، كان عليّ أن أجيبه سريعًا، ولكن بمنتهى الحكمة والهدوء، فابتسمت بمنتهى الود قبل أن أعاود الحديث:

- لا أعتقد هذا يا سيدي، فأنت لست في حاجة لذلك، كان يمكنك أن تحدثني مباشرة.. وأنا رجلك في كل الأوقات فلمَ تفعل بى هذا؟..

لقد أثار الشك في داخلي بعد جملته الأخيرة، لكنني أعلم قدره جيدًا، وما يمكن أن يساعدني به، لكنها لن تكون مساعدة مجانية، وليست مقابل مال، بل ستكون مقابل خدمة أخرى أقوم بها وقتما يريد هو، فهكذا ترد الخدمات معه، الدَين ليس بالمال، لكنه بالأفعال. ما تأخذه يجب أن تدفعه بيدك وليس برصيدك، وأنا كنت على استعداد لهذا، فربما أجد خلاصي مما أنا فيه..

أخذ يفكر مليًا في الأمر بعمق أكبر، قام بتدوين عدة أمور قبل أن يتحدث لي:

-صدقًا أنا لا أعلم شيئًا عن الأمر.. لكن تأكد أنني لن أسمح لأحدهم أن يعبث بنظامنا.. رَدّنا يجب أن يكون صارمًا...

-هذا ما أتوقعه.. لكن لي رجاء.. دع لي حفلة الانتقام.

أطلق ضحكة ساخرة ملأت أجواء المكان، قبل أن يتمالك نفسه مجددًا ويعود للحديث بكل حزم:

-اعذرني على هذا، لكنك دائمًا ما تتعطش للقيام بذلك.. لكن ليس هذا هو المهم الآن.. الأهم هو أن نكشف الخلل. فتحليل ما تقوله بكل بساطة لا يترك إلا خيارين: أولاً أن أحد الموجودين بالداخل قد سرّب المعلومات، والأسوأ أننا مخترقون، وفي كلتا الحالتين الأمر ليس بالهيّن..

-كل هذا لا يعنيني، لكنني أريد أن أعرف من يلعب معي.. عامة أنا حددت موقفي سأجاريه في كل ما يطلب، وأقوم بتنيفذه حتى أصل إليه في النهاية.. ولكنني قد أحتاج المساعدة منك.

-تعلم أنني لن أبخل عليك بشيء، فأنت لست من بين الأميز، بل إنك أميز من لديّ من الرجال..

-سيدي.. هذا كل ما لديّ، صورة لتلك الفتاة، كل ما أمتلكه، الآن أريد أن أعرف عنها كل شيء.

-حسنًا.. يومان على الأرجح وسأخبرك بكل ما لديّ من معلومات عنها..

أنهيت لقائي معه، بدا الاضطراب والقلق واضحين على محياه، فهناك كائن غريب يعبث بعامله ومنظومته التي أنا أحد أعضائها، فإن يُكشف أحد رجاله، فهذا يعني أن هناك شيئًا يحدث فوق قدرته وسلطاته، لكنه قد يطيح به وبالجميع. مرة أخرى عاد الشك بداخلي من حديثه عن كونه من يفعل بي ذلك، فربما يكون هو من وشى بي، لكنني في جميع الأحوال لا يوجد أمامي شخص غيره لأعتمد عليه في الوضع الحالي..

*****

اتصال

اليوم الثالث قد أتى سريعًا، لكنني شعرت بأن الدهر بأكمله قد مرّ عليّ منذ فجر التاريخ إلى الآن. إنه اليوم الموعود، عليّ أن أتلقى اتصالاً كما أخبرتني تلك الفاتنة في زيارتها الماضية لي.. لكن الواقع أنني أنتظر اتصالين على وجه الدقة، أولهما من الصديق الذي استعنت به، والثاني من تلك الفاتنة وسيدها اللعين.. كالعادة استيقظت مبكرًا، تناولت فطوري، وجلست وحيدًا برفقة صديقي العزيز الصمت، الذي بدا لي في تلك الأثناء وكأنه ألد أعدائي. مع انتصاف النهار لم يتغير شيء، بينما الجديد أتى عند الغروب، اتصال على أحد هواتفي، بل إنه الهاتف الجديد الذي أعطاني إياه صديقي، وأخبرني بأنه مؤمّن للاتصال عليه، بادرت للإجابة لأجد الشاشة تحمل بين طياتها رقمًا مجهولاً، تأكدت أنه اتصال صحيح وليس مجرد اتصال عابر على سبيل الخطأ، لم أنتظر إلا ثوانٍ معدودة لأجمع رباطة جأشي وأجيب على الاتصال..

-مرحبًا سيدي.. كنت في الانتظار.

-أتمنى أن تكون بخير، وأن يكون اتصالي سبق الآخرين.

-أنا بخير، وما زلت أنتظر اتصالهم.. لكن اتصالك سيدي هو الأهم.

-حسنًا لن أطيل عليك، ستصلك رسالة تحوي حسابًا إلكترونيًا مؤمّنًا سيكون هو وسيلة اتصالنا الأخرى، إن لم أتصل بك تستطيع أن تراسلني منه على الحساب الذي سيرسل لك رسالتنا الأولى.

-هل من جديد سيدي في تلك الرسالة؟.

-نعم، ستكون لديك بعض المعلومات عن تلك الفتاة، ليست بالكثيرة أو المفيدة، لكنها قد تضعك على بداية الطريق لتعلم مع من تتعامل..

-حسنًا سيدي، أنا شاكر لك.

-أنت أحد رجالي، بل أفضلهم، ويجب أن أكون في عونك قدر ما أستطيع، ولتعلم لن أتركك أبدًا.. في النهاية لتعلم أن الرقم السري هو كودك التاسع عشر.

أنهى سيدي الاتصال، ولم أنتظر كثيرًا قبل أن تأتي تلك الرسالة، بادرت لمعرفة ما فيها، وجدت الحساب الذي بادرت للدخول عليه بينما الكود التاسع عشر هو كود سري بيني وبين سيدي يخصني وحدي من بين أكواد عدة أحفظها جميعًا في رأسي، لا مكان لتدوينهم، الأسرار يجب أن تمحى. سريعًا بادرت بفتح صندوق الرسائل الخاص بي لأجد تلك الرسالة تقبع وحيدة تنتظرني لأتفحص ما فيها. لم يكن الكثير أو المفيد كما قال سيدي، عدة صور لها يذيّل كل واحدة منها اسم وجنسية وشخصية مختلفة، بينما الرسالة خُتمت بجُمل مقتضبة أشعلت نيران

الحيرة في كل أوصالي..

"كلها أسماء مزيفة لشخصيتها الحقيقية التي لا يعلمها أحد.. في الغالب هي تعمل لدى تنظيم دولـي، أو تعمل لحساب الغير مثلك.. يجب أن تتوخى كامل الحذر".

أعتقد أن ما أتى في الرسالة لم يضف إلا الغموض، وجعلني أكثر حيرة، أنا أتعامل مع شخص مجهول ويعرف كل شيء عني، والأكثر قلقًا أن ما حصلت عليه من معلومات لم يكن إلا تحذيرًا كاملاً من التعامل مع امرأة مجهولة، لكن في المقابل وجدت شيئًا يمكنني أن أضغط به عليها في الوقت المناسب لذلك...

حاولت أن أدرس كل طرق الضغط عليها من خلال ما لديّ من معلومات. جعلني هذا لا أشعر بالوقت الذي مر سريعًا دونما أي ملل. لم يخرجني من تركيزي هذا إلا اتصال آخر كنت بانتظاره، بادرت سريعًا للرد عليها، لم أكن بحاجة لجمع شتات نفسي، فما لديّ الآن يجعلني أشعر بجزء ولو قليل من الثقة، لكن قبل أن أنطق بأي شيء كانت هي من بادرتني بالحديث:

-أتمنى ألا أكون قد جعلتك تنتظر كثيرًا.. فأنا أعلم أنك والصمت أصدقاء.

-لا تبالي بمن أصادق.. أو ما أحب.. كل ما تريدينه هو العمل، فدعينا نشرع إلى صلب الموضوع.

-حسنًا، يبدو أنك ما زلت لا تحب المرح.. رغم أنني أمتلك منه الكثير.. سأكون بانتظارك في الكافيه الذي اعتدت الذهاب إليه على الشاطيء في الأيام الماضية.. أنا هناك.

أتمت قولها ثم أغلقت الهاتف، لم تنتظر ردي حتى، فهي تعلم أنني أنا من أريدها وليس العكس. لم أكن متسرعًا بل سعيت لأبدو بأفضل مظهر لديّ. أزعم بأنني تأنقت بهذا الشكل المبالغ فيه للخروج في موعد غير رسمى لأول مرة منذ سنوات عديدة، وتعطرت كذلك، بل إنني أخذت وقتًا أفكر أي تصفيفة للشعر ستكون مناسبة؟ لكنني في النهاية جعلتها اعتيادية. لم أكن أعرف هل أتأنق من أجل إغوائها، أو لإعجابي بجمالها، أم أنني أتأنق لكي أبدو أمامها متماسكًا؟. لكني في النهاية ذهبت إلى المكان المحدد للقاء وجدته شبه خاوٍ إلا من بضعة رجال شبه آليين، لكن كلها آلات مستوردة، لم يكن من بينهم أي آلة يبدو أنها تنتمي لأرض هذا الوطن. بينما هي تجلس على طاولة بالمنتصف ترتدي فستان سهرة لا يتناسب مع طبيعة المكان، ظننته في البداية طويلاً، لكني وجدته مشقوقًا في جنبه بشق يصل إلى أعلى أردافها ليُظهر أكثر مما يُخفي مرة أخرى، مع لون شعر مغاير، علمت للوهلة الأولى أنها تعدد بين باروكات شعرها، مع لون مختلف للعيون، وأكمام عارية إلا من قفازات سوداء، تزينها إسورة مرصعة بالألماس لتكمل التناسق مع هذا العقد الذي يتدلى حول رقبتها. أشارت لي بالجلوس وهي تذرف دخان سيجارتها قبل أن تسألني عما أشرب

كتحية منها لي..

-لم أكن أعتقد أنني سآتي إلى موعد رومانسي، وليس موعد عمل..

-وأنا أرى أنك تأنقت على غير العادة، فحتى في عملك السابق في البنك لم تكن بهذا التأنق، ألهذا السبب قد تأخرت؟.

سعت لإرباكي بكلماتها تلك، ما زالت ترى أنها من تتحكم بزمام الأمور. فكرت لبرهة أن أباغتها بما علمته عنها، لكن سريعًا طردت تلك الفكرة من بين ثنايا عقلي. فأي بلاهة تلك تجعلني أرمي بالكارت الوحيد الذي أملكه بين يدي مبكرًا هكذا؟. حاولت أن أبدو طبيعيًا في ردودي وأجعلها تناسب امرأة في جمالها..

-في الحقيقة لم يسبق لي أن واعدت امرأة من قبل... حتى وإن كان في موعد عمل..

-هذا جلي عليك، فتأنقك هذا قد يناسب سهرة مع أصدقاء لك، وليس مع امرأة فاتنة مثلي..

مجددًا سعت لإرباكي، لكنها لم تكن مخطئة، فهذا ما اعتقدته أنا أيضًا، لذا تعاملت على هذا الأساس..

-إذًا فلنتمنى أن أكون بحالٍ أفضل في المرة المقبلة..

-هذا يعني أنك وافقت على العمل معنا..

-ولمَ لا نقل أني لا أملك خيارًا آخر غير هذا حتى أبقي على حياتي؟..

-أرى أن لغة الوعيد في حديثك قد ذهبت أدراج الرياح.

-لنقل إنني كنت متسرعًا، لكن الأيام الماضية جعلتني أتروى وأتعقل في الأمر.. فأنا الحلقة الأضعف بكل الأحوال..

-حسنًا، سأقتنع نفسي بأن أصدق حديثك هذا.. ودعنا نبدأ سريعًا في عملنا.. سيدي لم يشأ أن يبدأ معك بعمل شاق.. فهو يرى أن الهدف الأول سيكون بمتناولك بكل سهولة.. أنا شخصيًا لا أعلم من هو، لكنه من أخبرني بذلك.. هذا الظرف ستجد به كل ما تريد..

ألقت بظرف على الطاولة، مددت يدي لأمسكه، وبادرت بتفحصه، لكنها أشارت لي بألا أفعل الأمر قبل أن يأتي النادل بالمشروب الذي طلبته وقت حضوري لأتناوله..

-عزيزي هذا عمل خاص بك، وما أنا إلا وسيطة في الأمر فرجاءً لا تطلعنى على شيء، هكذا أمرني سيدي..

-حسنًا..

كنت أثق أنها كاذبة فيما تقول، وأنها تعلم كامل تفاصيل هذا الظرف ولكن ربما أرادت ألا يعلم به أحد من حراسها فأنا للآن أضعها كهدف رئيسي للانتقام، فربما تكون هي المحرك للأمر كله، ولكنها تتخفى بشكل الوسيط. وقد تكون هي فعلاً مجرد وسيط ينفذ التعليمات، أو وسيط يدير العملية بأكملها بطريقته وأسلوبه، لأقف في النهاية عند

نفس النقطة. إن تلك الفاتنة هي نقطة انطلاقي وبداية الخيط الرفيع الذي يجب أن أتمسك به لأصل لنهايته. أنهيت مشروبي ثم اعتذرت منها وغادرت المكان، بينما ظلت هي به بعد رحيلي، ولا أعلم متى أو كيف رحلت، لكني أتوقع أنها انتظرت كثيرًا حتى تطمئن أنني عدت إلى منزلي ولم أتعقبها هي ورجالها...

لكنها قبل الرحيل استوقفتني لترمي إليّ بكرة أخيرة بعناية شديدة جعلتها تجاور كل الكرات السابقة في ملعبي:

-عليك أن تتحقق من حسابك البنكي، ستجد.. ثمن الشحنة قد وصل إليك..

*****

الفصل الأول

نعم، لنقل إنه الفصل الأول في عملي معهم، فكل مهمة سأقوم بها سأعتبرها فصلاً بحد ذاته، سأسعى لأخرج منه بأقل الخسائر. وأيضًا سأسعى لأخرج منه ولو بمعلومة جديدة قد تفيدني في طريق الانتقام الذي شرعت فيه منذ وافقت على العمل معهم. تحققت من أرصدتي ووجدت بها أموالاً تفوق ما قد أطلبه نظير هذا الهدف بعشر مرات. علمت أنهم يسعون لاستمالتي بأي شكل ممكن، فدائمًا هناك طريقان: الأول بالترهيب، وهذا ما بدأوا به، والثاني بالترغيب، وهذا ما يفعلونه الآن. أي مجنون هذا الذي يسلك الدربين معًا بتلك السلاسة، فالمال دائمًا هو كلمة السر، خاصة إن كان لقاتل محترف مثلي، لكن ليس في حالة يسعى فيها للثأر من مستأجره، وتضميد جراح كرامته المبعثرة...

قمت بفض المظروف الذي بحوزتي وبدأت أدرس ما به.. هدفي في تلك المرة هو شخصية عامة، أحد أشهر كيميائي الصيدلة، ويمتلك إحدى أشهر شركات الأدوية، بل إن شركته تسعى للحصول على تصنيع دواء شهير لعلاج مرضى الكبد في مصر، هذا لم يكن في المظروف، لكني سعيت جاهدًا في جمع المعلومات عنه وعن شركته لمعرفة أي شيء عنه، بينما المظروف حوى عدة صور له، وتصميمًا وشرحًا كاملاً لشركته ومنزله، بل لنقل على وجه الدقة كان لديّ الرسم الهندسي

لكليهما. علمت أنه أرمل يعيش وحيدًا، ابنه الأكبر في أميركا أغلب أوقات العام، وابنته مع زوجها الذي هاجر إلى أستراليا. وكان هذا سر تعجبي، كيف يتركه أولاده وهو يمتلك كل تلك الثروة والمال، أي شيء يدفعه للبحث عن رغد الحياة خارج تلك البلاد...

كان لي اتفاق سارٍ مع صديقي الذي يساعدني بأن أرسل إليه من يريدونني أن أقتله، هنا أرسلت له عن قتيلي هذا ولم أجد منه أي اعتراض أو امتعاض من الأمر، بل قال لي إنه عمل مماثل لأي عمل غيره فلتقم به ولتسعى لتعرف منه أي شيء يدلك على هدفك الأكبر. وبالفعل صببت جام تركيزي على ذلك، أخذت أدرس الأمر بكل الطرق المتاحة، أخذت وقتى المعتاد قبل تنفيذ أي عملية أقوم بها فكما أخبرتك من قبل يا صديقي أنا أقتل بدون قتل..

لكن دعوني أحدثكم عن تاريخ هدفي الحالي، هناك تاريخ شرعي يعرفه الجميع، وآخر يحيا في الخفاء لا يعرفه إلا القلة، أو من يستطيع الوصول إلى الأبواب الخلفية، وبحكم عملي فتلك الأبواب تعتبرني من أهم مرتاديها. الواقع أنه بدأ بشركة عادية في مجال توزيع الأدوية لكبرى الشركات. رجل نجح وتميّز في عمله، استغل إحدى الأزمات المالية في شركة يتعامل معها، بعدها دخل كشريك بها، وتباعًا استطاع أن يسيطر عليها كاملة ليحولها بعد ذلك لإحدى أكبر شركات الأدوية في السوق المحلية.. بينما الحقيقة التي لا تُعرف إلا من خلال

الأبواب الخلفية، أنه بدأ بشركة التوزيع التي ورثها عن والده في حقبة السبعينيات لكن التوزيع لم يكن فيما هو مشروع فقط، بل دلف إلى توزيع أدوية ممنوعة وغير مشروعة، وتوزيع أدوية تصنف في جداول المخدرات بطرق مغايرة تمامًا لم تكن تجد مكانها في الصيدليات من أجل المرضى، بل كانت تجد طريقها إلى السوق الخلفية، وبين أيدي المدمنين والمتعاطين.. أيضًا الاحتكار لبعض المواد المطلوبة وبشدة لدى الجماهير.. الشركات تسلمك الكميات وأنت تتحكم بها، أساليب وألاعيب كبيرة جعلته يحصّل الأموال بشكل سريع، جعلته يستطيع إنقاذ تلك الشركة المصنعة التي أوشكت على الانهيار، لكنه بدأ يتدخل في كل كبيرة وصغيرة في تلك المنشأة، بدأ يوغل سيطرته، يغيّر في الطاقم الإداري ليصل في النهاية إلى سدة الحكم، ليتوسع بعدها ويحصل على حصص أكبر من العمل المباشر مع قطاع الصحة في الدولة. سعى لإغلاق كل الأبواب الخلفية خلفه، أتلف كل ما يثبت ما قام به سابقًا، لكن دائمًا ما تبقى هناك حكايات تُحكى، لا تعرفها إلا من خلال الأبواب الخلفية تلك...

أولاً حددت موقع التنفيذ، منزل هدفي هو ما وقع عليه الاختيار..

ثانيًا الزمان، فما علمته أن هدفي يعمل لساعات متأخرة في معمله الخاص والذي صُمم خصيصًا له في البدروم الملحق ببيته، فكان الموعد ليلاً مجددًا، حيث ينسدل غطاء الظلام على كل شيء..

التسلل لم يكن بالأمر الصعب على شخص مثلي في ظل عدم وجود أي حراسة تُذكر باستثناء خفير يحرس المدخل الرئيسي... أيضًا الكاميرات المنتشرة في كل موضع في البيت كنت أعلم كيف أتفاداها جميعًا من خلال الرسم الذي لديّ. فلم يكن النظام الأمني ليفرض احتياطات أمنية كاملة بنسبة مائة بالمائة، لكنها أقيمت على سبيل الوجود، فمن سيجرؤ على الولوج إلى هنا؟. تسللت عبر السور الخلفي، ثم سلكت طريقي بشكل خفي إلى أن وصلت لوحدة التحكم الرئيسية. شعرت وقتها أن من بعث لي بهذا الرسم يعلم كل تفاصيل المكان بشكل أكثر من صاحبه نفسه، ومرة أخرى سألت نفسي لماذا لم يقم أي فرد من رجاله بتلك المهمة؟.. خرجت عن شرودي وعدت لأرض الواقع، تأكدت من عدم ظهوري في أي كادر في التسجيلات في ظل امتلاكي لشرح كامل لنظام المراقبة والإنذار الخاص بالمنزل وكيفية التسلل له وتعطيله، وبالفعل قمت بتعطيل جهاز الإنذار الخاص به، وبعدها توجهت إلى المعمل الذي يقبع بالأسفل متسللاً إليه. المكان لم يكن بالكبير، حجرة متوسطة الحجم، جدرانها مبطنة بسيراميك أبيض وأجهزة ومحاليل معدة لتجارب كيميائية قد يقوم بها هدفي هذا. وجدته في الغرفة ينظر إليّ فزعًا وأنا أرتدي قناعي الواقي من الدخان والغازات السامة، فبادرته أنا بالحديث:

-سيدى رجاءً دعنا لا نضيّع الوقت.. إن كنت تريد استخدام نظام

الإنذار الخاص بالمكان فلتعلم أنني قمت مسبقًا بإيقافه..

ارتجف قليلاً قبل أن يسعى لتمالك نفسه ومحادثتي، بينما عيناه لم تبتعدا أبدًا عن سلاحي الذي أشهرته في وجهه..

-ماذا تريد مني؟.. وكيف وصلت إلى هنا؟.. ألا تعلم مَن أنا؟..

-أنا لا أريد منك أي شيء، بل من أرسلني هو من يريد روحك.. أما كيف أتيت إلى هنا فقد دلفت إلى منزلك غير المؤمن جيدًا بطرق لا يوجد لدينا وقت لسردها.. أما أنت فأعلم عنك الكثير.. هذا هو طبعي، أدرس جيدًا كل قتيل يأتي على لائحتي..

كلماتي تلك زادت من درجة الرعب والإرباك التي سيطرت عليه بشكل كبير، مخبرة إياه بمصيره المحتمل في الدقائق القادمة بالقتل على يديّ، مما دفعه هذا للتلعثم أثناء محاولته الرد عليّ..

-ق.. ق.. قتلي. لماذا تقوم بهذا؟ ومَن الذي أرسلك؟..

-صدقني سيدي إنني لا أعلم من يريد قتلك، لكن ما أعلمه أنه دفع لي الكثير من الأموال.. أيضًا ما أعرفه أنني يمكنني أن أعفو عنك إن ساعدتني في الوصول إليه..

بدت جملتي الأخيرة تلك مثل القشة التي يتعلق بها غريق يصارع أعتى الأعاصير في بحر لجي لا يعبأ به، لكنه، وصراعًا من أجل الحياه، يسعى للتشبث بهذا الأمل الخداع أو الوهم الذي ألقيته له ليبدأ التساؤل عما

أحويه في جعبتي له...

-وكيف أساعدك؟.. ومن يضمن لي أنك لن تقتلني؟..

-لا توجد أي ضمانات، بل عليك أن تسلم رقبتك لي وتترك لي القرار.. أما المساعدة فهي أن تخبرني بأي عدو لك، أو مَن قد تراه يرغب في ذلك..

بدأ العرق البارد يتزايد على جبينه، مسحه بارتباك شديد، قبل أن يجيبني بكل صراحة، لم أكن أشعر أنه رجل مراوغ أو يستحق القتل، بل أخذ يسرد كل شيء عن أعماله وأرصدته في البنوك وعقاراته. جعلته يدخل في الحديث سريعًا ليخبرني أن شركته تدخل في مفاوضات حالية لتصنيع دواء أجنبي لعلاج مرض الكبد. وتلك لم تكن معلومة جديدة لي..

-أعلم هذا سيدي.. لكنني أبحث عما هو غير ذلك.. هل لديك منافسون قد يسعون لقتلك، أو مَن يريد الانتقام منك؟..

-لا.. لا أعتقد ذلك أبدًا!!.. فما بيننا هو تنافس ربما على صنف دواء أو.. أو مناقصات على أدوية التأمينات لوزارة الصحة.. ربما هنا يكمن الأمر.. لكن الكعكة تقسم علينا بالتساوي..

-لماذا يا سيدي، هل هي مغرية الأموال التي تحصلون عليها جراء هذا؟..

-لا لا.. الأمر ليس كذلك.. وزارة الصحة تشتري منا وتدعم الأدوية.. حتى وإن كانت بنسبة بسيطة.. لكن الأمر يكمن فيما نقوم به، قد نفترض أن الدواء يكون مخصصًا لهم بنسبة مادة فعالة تصل إلى 20% لكننا مثلاً نقوم بتسليمه بنسبة 5%. أنا أضرب لك مثالاً على ما نقوم به.. لكنني لا أقوم بهذا وحدي، بل أنا وغيري كثيرون نقوم بالأمر، كل من يشترك في تلك الكعكة من بين الكبار يلتزم بذلك.. هذا كل ما أعلمه.

-وهل تتركم الوزارة تفعلون هذا؟

-الكعكة ليست للشركات فقط، بل يطولها كل من في المنظومة، كبار المسئولين بطرق غير شرعية معنا وصغارهم، باحتكار تلك الأدوية في صيدليات المشافي الحكومية وبيعها في السوق السوداء.. الفساد مستشرٍ بين الجميع لست أنا وحدي..

أنهي الرجل حديثه ليدخل إلى قلبي شك آخر، فقد كنت في البداية أشك أن شركة أو منافسًا آخر لا يريد دخول دواء الكبد هذا إلى هنا. لكن الآن أصبحت أمام خيار آخر لمنافس على مناقصات حصة في التأمينات لدى وزارة الصحة، أو منافس آخر على صنف دوائي جديد، أو ربما شيء آخر لا أعلمه بعد.. أخرجت شيئًا من جيب سترتي ثم ألقيت إليه به..

-ما هذا؟..

-هذا حجر من الصوديوم سيدي..

-وماذا تريدني أن أفعل به؟..

-لا شيء كل ما عليك فعله أن تأتي بهذا الدورق وتملؤه بالماء، سنجعله يسخن قليلاً على اللهب الموجود أمامك.. ثم ستضع هذا الحجر فيه..

بدا الرعب واضحًا على قسمات وجهه مما أقول قبل أن يجيب عليّ:

-ماذا؟.. ألا تعلم ماذا قد يحدث.. أنت بهذا قد تصنع قنبلة قد تودي بحياتنا معًا، المواد الكيميائية الموجودة هنا أغلبها قابلة للاشتعال، وما تطلبه مني هو أشبه بصنع قنبلة قادرة على تدمير المعمل بأكمله.

-تمامًا يا سيدي هذا ما أريده أن يحدث، وأنت قد وضعت احتمال حدوث الأسوأ، أي أنه يوجد احتمال آخر لحدوث ما يغاير ذلك..

حقيقة أعترف أن الرجل كان مسالمًا، لم يأخذ مني الكثير من الجهد لأقنعه بفعل ذلك تحت تهديد سلاحي، قام بملء الدورق بالماء ووضعه على اللهب حتى الغليان، ثم وضع حجر الصوديوم به بأيدٍ مرتعشة غالبها التردد، لكن إصراري على الأمر وإجباري له بتهديد السلاح وبعض العنف البدني البسيط جعله ينصاع لي في النهاية قبل أن يعم الانفجار الذي لم يكن بسيطًا نتيجة لكبر حجم حجر الصوديوم المستخدم. قربه من مصدر الانفجار أوقعه على أرض المعمل فاقدًا

الوعي، مع ارتطام شديد بالأرض الصلبة جعله يتشنج بعض الشيء، في نفس الوقت تطاير نثرات الانفجار في كل مكان جعل الأبخرة تتطاير في كافة الأرجاء، حتى أنا لم أعد أطيق رائحتها رغم القناع الذي أرتديه، لم أفارقه إلا عندما تأكدت من أنه قد فارقنى متأثرًا بالانفجار والارتطام من السقوط والدخان الكثيف الذي ملأ المكان من حولنا مع بعض المساعدة مني لتسريع إتمام عملية الاختناق. سريعًا غادرت المكان قبل أن أكون أنا الآخر فريسة مثله لملك الموت بحصده لروحي. بعدها أعدت تشغيل نظام الإنذار الذي لم يستغرق إلا وقتًا بسيطًا قبل أن يعلن زمجرته نتيجة للدخان الكثيف الذي بدأ يملأ أرجاء المنزل كله وليس معمله فقط معلنًا عن كارثة قد حدثت في معمله أودت بحياته، بينما تسللت أنا سريعًا إلى الخارج مغادرًا مسرح جريمتي تلك. أو لنقل موقع الحادث المأساوي الذي أودى به..

*****

راحة

نعم لنقل إنني حظيت براحة بعد تلك المهمة.. في اليوم التالي خرجت علينا الصحف والقنوات التليفزيونية بخبر الوفاة، وأن ما حدث كان نتيجة لانفجار في معمل الضحية مما أدى لوفاته. وتحول الأمر من التحقيق في الوفاة إلى التحقيق هل من الطبيعي أن يوجد هناك معمل مجهز في أسفل منزله، أم يجب أن يكون هناك ترخيص لمثل هذه المعامل؟. كعادتنا التي لا تتغير نترك الحدث الرئيسي ونركز على الأغصان المتعددة التي تشابكت بشكل عشوائي، ربما تكون غير مقصودة أو أنها كانت مقصودة لتتم عملية الإلهاء بنجاح كبير، أو لصرف النظر عن أمر آخر يحدث في خلفية الأحداث لا يجب أن يراها العامة أمثالنا.. لكن في تلك المرة تشابك تلك الأغصان كان مقصودًا، لا لشيء إلا للتضليل عن احتمالية شبهة جنائية في حادثة وفاته..

كالعادة حصلت على حمّامي الدافيء عقب ما قمت به، واستمعت إلى موسيقى هادئة تضفي عليّ نوعًا من الارتياح.. فأنا في بعض الأحيان قد يستيقظ ضميري، يؤنبني، وأرى كل ضحاياي في كوابيس عديدة أصبحت أتلذذ بها. في البداية كنت أعاني وبشدة، ضميري كان يؤنبني، كنت أحتاج لجلسات نفسية كأي مريض يعاني من اضطراب

نفسى أو ذهني، لكن بعدها أصبحت أتكيّف معها، بل إنني أصبحت أقتلهم مجددًا في كل مرة أراهم فيها بطرق مبتكرة في فنون التعذيب، فأصبحت كوابيسي هي أفضل رفقة أحظى بها أثناء نومي..

في الصباح حصلت على اتصال جديد من تلك الفاتنة التي أصبحت حلقة الوصل بينى وبين سيدها، أخبرتني بامتنان سيدها بما قمت به من عمل، وأنني الآن سأحظى براحة بعض الشيء قبل المهمة التالية.. صراحة كان هذا عكس ما توقعته تمامًا، فكنت أعتقد أن سيدها متلهف للأمر ويريدني أن أقوم بإتمام كل مهامه سريعًا، لكن يبدو أنهم يريدون أن يأخذوا أطول وقت ممكن من العمل معهم، ربما في النهاية ينجحون في استمالتي.. لكن حقيقة هناك من نجح في استمالتي ولو بقدر قليل، تلك الغانية التي أراها وأحدثها، في كل مرة يحدث بيننا لقاء أو اتصال ينتابني شعوران: الأول أن أقتلها وأنتقم منها، والثاني أن أرافقها وأحظى بها، فعطر أنوثتها وشبق غنجها يجعلاني أشتاق إليها، نعم أنا قاتل، لكنها امرأة فاتنة، وأنا بكل الأحوال رجل له غرائزه قد يستميله عطر امرأة تجيد فن إسقاط الرجال في شباك هواها.. كنت دائمًا أسعى لطرد تلك الفكرة من مخيلتي، فكلما فكرت بها حدثت نفسي بأنني بهذا أقع في شِراكها وأبتعد تمامًا عن روح الانتقام التي قد ولدت بداخلي منذ البداية تجاهها وتجاه من تعمل معهم جميعًا..

على الجانب الآخر أخبرت صديقي بكل شيء قمت به. لم أشرح له

التفاصيل، لكني أطلعته على المستجدات، أنهم أعطوني راحة أو عطلة جديدة قبل عملهم القادم. أيضًا أخبرته بكل ما عرفته من قتيلي الأول، وتلقيت منه وعودًا أنه سيدرس كافة الاحتمالات والمعلومات المتاحة معنا علّنا نصل إلى من يقوم بذلك، أو يهدينا هذا إلى أول الطريق لنرى دربًا ما نسلكه.. كنت أشعر به، بضيقه من الأمر، أن يكون عاجزًا هكذا مع تدخل أحدهم في شئونه وإدارتها بشكل مباغت هكذا دونما أن يعرف من هو الشخص الآخر.. أيضًا هو لم يتوصل لأي شيء متعلق بتلك الفتاة بعد. أخبرني أن رجالاً له شاهدوها معي في اللقاء الماضي، لكنها عندما غادرت لم يتمكنوا من تعقبها في ظل القطيع المبرمج من الحرس خلفها، فأي تعقب ولو بسيط سيتم اكتشافه. فالأمر ليس كما ترون في الأفلام أو تقرأون في الروايات أن التتبع أمر بسيط، أن اقتني مجرد سيارة وأسير بها خلف هدفي لأصل إليه في النهاية.. أما عن الرقم الذي حدثتني منه فأخبرني أنه رقم مؤمّن، وربما يكون رقمًا دوليًا ليس من هنا، قد اصطحبته معها أثناء قدومها لتنفيذ تلك المهمة وإرغامي على الاشتراك في تلك اللعبة...

قرابة الشهر وأنا أشعر بالملل، لا عمل لديّ، لا جديد، حتى حساباتي الإلكترونية قد أغلقتها مع اعتذار في الوقت الحالي عن أي عمل قد أقوم به، فعليّ ألا أشتت تفكيري بين هذا وذاك، فقط لي هدف وحيد عليّ إنجازه على أتم وجه وبأسرع وقت ممكن، لكن مع ما يحدث حولي

أيقنت أنني سأنتظر كثيرًا حتى أتم انتقامي، فعُدت مجددًا لصديقيّ الحميمين، الصمت والانتظار..

لم أتململ من فترة الانتظار، فقد تعودت على ذلك، لكني كنت متلهفًا لخطوة جديدة تجعلني اقترب من هدفي بشكل أكثر وضوحًا، أو أمحى بعض الضباب الذي أحيا بين جنباته، وتلك العبثية التي تحيط بي. لكني سعيت لأن أجد ما يقتل كل هذا بداخلي ويساعدني على التهام الوقت، حتى الجزء الأصعب في حياتي جعلته ممتعًا أتلذذ به، فإن كنت قاتلاً محترفًا مثلي فعليك أن تعلم أنك ستنتابك الكوابيس المزعجة، ستجد وجوههم جميعًا تحاصرك أثناء نومك، وكان هذا ما يزعجني في بادئ الأمر كما أخبرتك من قبل. كنت أمضى ليالي كثيرة بدون أن يغمض لي جفن، لكنني سعيت لكي أتأقلم، جعلت كوابيسي تلك أحلامًا سعيدة، في كل مرة في أحلامي كنت أتفنن أن أقتلهم مجددًا بطرق مبتكرة ومستحدثة كما تعلم. نعم فتلك حقيقة لا يعرفها الكثيرون، إن أستطعت أن تتحكم في عقلك وتسيطر عليه بشكل كبير، سيمكنك أن تتحكم في أحلامك، ستوجهها حيثما تريد وليس كما ترغب هي. لكن في تلك الفترة راودني حلم جديد لفاتنة تستغلني، مرة كنت أقتلها وأخرى أسايرها في حديثها وتارة أروي ظمئي من عبق أنوثتها.. حقًا أثارت كل ما بدخلي، إلى أن أتاني مجددًا اتصال منها..

حددت تلك المرة مكانًا مغايرًا لكنه أيضًا مكان عام.. حديقة عامة

في أطراف البلدة التي أقطن بها. الآن لم أتأنق كما فعلت في المرة الماضية، خشيت أن تعلّق مجددًا على ذلك، لم أكن متأخرًا أو سريعًا في وصولي إلى المكان المحدد، بل كنت مواطنًا اعتياديًا ربما يتأخر لدقائق معدودة لأي سبب ما على عكس عادتي. وجدتها بانتظاري وبحوزتها نفس مجموعة الآليين الذين يقومون بحمايتها مني أو من أي شيء آخر، لكنها في تلك المرة ارتدت ملابس عصرية من الجينز، مع قصة شعر قصيرة مغايرة للمرتين السابقتين.. اقتربت منها حيث تجلس في هذا التراس الذي اختارته في أحد أطراف الحديقة بعيدًا عن أي أحد قد يقترب منا أو تسوّل له نفسه تجاوز الحاجز الأمني الذي يشيده رجالها بأجسامهم الضخمة تلك. أشارت إليّ بالجلوس قبل أن تنزع نظارتها الشمسية مع دنو الشمس من موقعها في المغيب الذي أطل من خلفها في مشهد بديع.. كالعادة انتظرتها أن تبدأ هي الحديث وهذا ما حدث بالفعل:

-أولاً ما أعرفه أنك لم تعتد التأخير قط.. وأعتقد أنه يجب أن يكون الرجال سباقين لضيافة النساء وليس العكس.. أما ثانيًا فلتعلم أنني قد كسبت الرهان الذي لعبته مع نفسي..

-أعتذر عن التأخير..

-ألن تسأل عن الرهان؟.. إنه خاص بك..

أثارت تلك الجملة الفضول بداخلي، كالعادة هي تجيد نصب شباكها

حولي وتجعلني أدخل لشراكها بكل سهولة، لكني كنت أسعى للولوج إليه، عليّ أن أعثر على ضالتي بين غياهب جُبها، مما دفعني أن أسألها عن أي رهان تتحدث:

-خاص بى أنا؟!.. إذًا فأعتقد أنه ينبغي أن أعلم عنه..

-نعم من حققك أن تعلم.. لقد راهنت نفسي بأنك لن تهتم بأناقتك تلك المرة، فربما خشيت أن أحدثك عنها مجددًا، وقد كسبت رهاني هذا.. فيبدو أنني أقرأ أفكارك جيدًا..

مرة أخرى تبهرني بقراءة الأفكار تلك، كما تريد أن تستعرض ما تمتلكه من إمكانيات، وأن تؤكد أنها من يجلس على سدة الحكم وموقع القوة في تلك اللعبة التي تدور رحاها بيننا بدون أي تكافؤ، بل وإرغامي على المشاركة بها. لكنني سعيت مجددًا، ومثل كل مرة ألتقي بها، أن أطرد تلك الأفكار من دائرة اهتماماتي في حديثي معها.. كالعادة يحب أن أفكر في أي شيء آخر غير الذي يحدث..

-دائمًا ما تبهرينني.. لكن لندخل أكثر في العمل..

-تسعى لتفكر في شيء آخر لتبتعد عما يحدث حولك.. إحدى أهم القواعد التي نتعلمها جميعًا..

-يبدو أنكِ قارئة جيدة للأفكار.. لكن ما يشغل بالي الآن هو إنهاء مهامكم تلك، ثم الفتك بكم جميعًا..

أخرجت ضحكة ساخرة من بين شفتيها كرد فعل طبيعي على قولي هذا، فأي أحمق أنا يهدد وأنا بين الموت والمجهول، ولا توجد أي بارقة أمل تشير لي من بعيد على إيجاد ضالتي هناك. لكنها أخرجت سيجارة جديدة وقامت بإشعالها بكل بطء قبل أن تنفث دخانها في وجهي وأنا أجلس أمامها في صمت مترقب حديثها بدون أن أبدي أي رد فعل رغم الغليان الذي يدور في رأسي، فلقد فكرت للحظات بسيطة أن أقتلها وأكون بذلك قد اقتصيت منها، لكني أعي أنني سأسقط قتيلاً في اللحظة التالية دون أن أتم ثأري كاملاً...

-أتعلم يا عزيزي عندما تتحدث عن الثأر تصيبني بنوبات من الضحك لا تتوقف.. فعليك أولاً قبل أن تثأر أن تعرف ممن ستثأر.. فأنت بالكاد تعرف أوصافي..

-إذًا لننحي تلك الثرثرة جانبًا.. ولنتحدث في تفاصيل الأمور..

-دائمًا ما تسعى للهروب.. لكن لتعلم أنك دائمًا كالكتاب المفتوح بالنسبة لي.. هذا هو عملك الجديد ولتُحسن عملك بشكل أفضل.. فتلك المرة أنت أمام اختبار حقيقي..

ألقت إليّ بمظروف مشابه للمرة الماضية وأنهت حوارها معي بحزم بعد أن بدا عليها الضيق، لتغادر وخلفها قطيعها من الآليين.. للمرة الأولى أنجح في إثارة حفيظتها، وأيضًا للمرة الأولى التي تغادر هي

فيها أولاً.. جلست قليلاً بمنتهى الهدوء أتأمل ما حدث قبل أن التقط مظروفي الجديد وأعود مجددًا إلى مسكني..

*****

الفصل الثاني

صدَقت تلك الملعونة عندما قالت إن مهمتي هذه المرة ستكون أكثر صعوبة، فالمرة الأولى هدفي رجل أعمال وكيميائى مشهور، لكنه رجل عادي بدون أي حراسة تذكر.. بينما هدفي هذه المرة لديه حراسة مشددة أينما تحرك أو ذهب.. هدفي هو رجل أعمال من بين الأشهر في البلاد، يمتلك مجموعة استثمارية ضخمة في مجالات عدة.. كل تحركاته لا تتم إلا بحراسة مشددة، وحتى في بيته توجد أنظمة متعددة للأمن، من الأفراد للكاميرات لنظم الإنذار الحديثة، وكذلك في مجموعته الاستثمارية، كل شيء معقد، لكنني مرة أخرى أحظى بمخططات كاملة لكل ممتلكاته.. لم أندهش مجددًا فأنا أيقنت الآن أنه يوجد من هو أفضل مني يحركني كيفما يريد، وكأني بيدق صغير بين أصابعه يضعه كيفما يشاء على رقعة الشطرنج خاصته..

مرة أخرى أُرسل مهمتي إلى صديقي، لم أجد منه إلا تأكيدًا في كل ما لديّ، لكنه أظهر لي سبب كل التأمين الكامل له.. فهدفي تلك المرة شريك في إحدى أكبر شركات تكنولوجيا الأسلحة. بكل تأكيد تلك الشركة ليست في بلدنا، لكنها شركة في دولة أوروبية، وهو أحد أهم المساهمين فيها، وحراسته كلها تلك لأجل هذا الهدف، لكن الرجل لا يوجد لديه أي أعداء في الداخل أو منافس قد يصل لمستواه في

القطاعات التي يعمل بها، بل كلهم مجموعة من الطامحين إما لكسب وده، أو لتجنب أي صدام معه، فهو نموذج مثير للهيبة في عالم السلاح وتجارته الملعونة.. أيضًا لم يعطني صديقي أي مانع للتنفيذ...

ما لديّ من معلومات تلك المرة أعادني لنقطتي الأولى، أن من يخطط لهذا العمل هو شخص أو منظمة من الخارج، فقتيل المرة الأولى كان يسعى للتعاقد على دواء جديد خاص بمرضى الكبد وجعلني تمامًا أستبعد فكرة صراعات على حصص في أدوية التأمينات..

أمر آخر استوقفني عندما أخبرتني تلك الفاتنة من قبل أنني قد أرفض أيًا من الأعمال التي قد تأتي إليّ، فقد أخبرتك من قبل أنني يوجد لديّ خيار الرفض أو القبول، فأنا لست شخصًا خارقًا، وتلك العملية لو كانت عرضت عليّ من قبل أو في الظروف الطبيعية والتقليدية لأي عمل أقوم به، لرسم الرفض مصيرها بشكل كامل، فنسبة الفشل في تلك المهمة هي أعلى بكثير من نسب النجاح، احتمال موتي أو كشف أمري أيضًا وارد وبشدة لكنهم الآن قد نزعوا مني خيار الرفض ولم يبق أمامي إلا التنفيذ إنقاذًا لحياتي وإكمالاً لتلك اللعبة.. أربعة أيام قد مرت عليّ دون أي جديد، وقتها جاءتني رسالة على الهاتف الذي أعطتني إياه من قبل...

"نعلم أن المهمة ليست بالسهلة، لكننا نثق بك، لتبحث أكثر في التفاصيل، ربما تجد ما قد يفيدك".

مجددًا أوقن أننى أمام اختبار حقيقي، فسمعتي الماضية مبنية بشكل كامل على قدرتي على القتل بدون أي شبهة جنائية، وفي بعض الأحيان كنت أرفض مثل تلك المهام المستحيلة. بينما في الوضع الحالي فأنا أمام اختبار صعب، مهمة مستحيلة، والقتيل يجب أن يموت بدون أي شبهة في الأمر. عاودت البحث فيما لديّ من معلومات أدقق في أبسط التفاصيل، لكن لا جديد، فكل شيء قد تمت دراسته من قبل. هنا تنبه ذهني إلى أمر آخر: لمَ لا يكون قصدهم تفاصيل أخرى ليست فيما لديّ من معلومات منهم؟ بدأت بالبحث الإلكتروني عنه، أي خبر، مئات بل آلاف الأخبار عنه كرجل أعمال من بين الأنجح، عشرات بل مئات المواقع المحلية والعالمية تتحدث عنه، ربما بعضها مدفوع الأجر والآخر لنجاحه الاقتصادي أو لنفوذ سياسي أو لصيت اجتماعي..

لم أكلّ أو أملّ من تتبع تلك الأخبار ومراجعتها، عليّ أن أجد أي شيء يفيدني.. عدت بالزمن إلى ثلاثة أو أربعة أعوام للخلف، لم أترك فيهم أي قصاصة خبر عنه إلا وقرأتها، إلى أن وجدت ما قد يفيدني، خبر عن إجرائه عملية في القلب، الآن أعلم أن هدفي مريض بالقلب، حتى وإن كان مريضًا سابقًا.. سعيت أكثر لأعلم عن هذا الأمر، فهي عملية تبديل صمامات في القلب مع توسيع للشريان التاجي. هنا شعرت أنني قد وصلت إلى شيء بسيط، فلقد علمت كيف ستكون الوفاة، مريض بالقلب، مع أي شيء انفعالي عليه قد يؤدي إلى وفاته نتيجة أزمة قلبية،

فما بالك لو أنه قد تم حقنه بمادة الأدرينالين؟ وفاة طبيعية، لن يفكر فيها أحد، لكن الأهم الآن أين وكيف سأنفذ مهمتي وسط كل تلك الحراسة التي تتبعه؟ فلجأت هنا للخطوات التالية دون الاعتماد على أي معلومات من أحد...

لكن قبل ذلك دعوني أخبركم عما وجدته عن هدفي في ساحات الأبواب الخلفية لهذا العالم.. البدايات دائمًا ما تحوي الكثير، محل لبيع الأسلحة بترخيص من الدولة، هو ما ورثه عن والده، لكنه لم يكن محلاً عاديًا، بل كان من بين الأكبر والأشهر.. توسع في عمله بشكل شرعي وبشكل آخر غير شرعي، أدر عليه الكثير من المكاسب المادية والمعنوية والكثير من العلاقات والمعارف.. توجه لأعمال أخرى غير السلاح، لكن كلها كانت في الإطار الشرعي، يسعى من خلالها لوضع صبغة قانونية لأمواله القادمة من طرق غير مشروعة. تطورت معه الأمور وأصبح من أكبر وسطاء السلاح في الشرق الأوسط في سبعينيات القرن الماضي، بعدها أصبح وسيطًا دوليًا، إلى أن أتت فرصة العمر في نهاية الثمانينيات، شريك بشكل رسمي في إحدى شركات تطوير الأسلحة في أوروبا. البداية كانت كمساهم بسيط، بعدها بدأت حصته تزداد شيئًا فشيئًا، ورغم زيادتها ما زال مساهمًا بقدر ضئيل بين شريحة المُلاك. لكن تلك الحصة أعطته الكثير من القوة والنفوذ والتوسع في مجال تجارته على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وصبغت عليه

الكثير من النفوذ والهيبة المكتسبة من وراء أعمال مشروعة وأخرى غير مشروعة تحيط بها أموال تفتح له كل الأبواب المغلقة أمامة وتغلق أبوابة الشخصية أمام كل من يحاول الإقتراب منه ليبقى شامخا في قلعته الحصينه بعيدًا عن أيدي أعدائه أو منافسيه لتكون مجرد فكرة قتله هي درب من دروب الخيال..

كل هذا جعل الأمور تزداد صعوبة عليّ لكن ما كان أمامى إلا خيار واحد قد يجدي لي ثغرة بسيطة لكيفية تنفيذ مهمتي ألا هو التتبع، ومراقبة تحركاته لكن ليس بطريقة تقليدية فتلك هي مهمتي التالية، كنت مثل ظله الخفي، قرابة الأسابيع الثلاثة وأنا على تلك الحالة، وجدت نقطة ضعف وحيدة، فلا يوجد أي إنسان كامل، فهدفي يذهب يومًا في الأسبوع إلى أحد المنتجعات الصحية الشهيرة في العاصمة SPAوفيه لا تدخل معه حراسته.. وجدته منتظمًا على هذا الموعد، لكن كان عليّ أن أتواجد بالداخل إن أردت أن أقتله...

اخترت يومًا مخالفًا ليومه، ذهبت إلى هذا المكان لكي أدخله، كان عليّ أن أسلم أي شيء خاصًا بي، حتى هاتفي النقال، في الخارج، لم يسمحوا لي إلا بملابسي وحقنة عصرية على شكل قلم ادعيت أنها مملوءة بالأنسولين، وبالفعل هي كذلك، إدعاءً مني لإصابتي بالسكر، وأنا أحملها معي في أي موقع أذهب إليه خشية أي نوبة مفاجئة قد تصيبني.. تأكد الموظف المسئول من ذلك قبل أن يسمح لي بالأمر، كما

أنني تعمدت أن أحقن بها نفسي أمام الجميع، لكن ما فيها كان تركيزه قليلاً للغاية لا يؤثر عليّ في شيء.. دخولي في المرة التالية كان أمرًا سهلاً للغاية، فقد تأكد كل من في المكان من قبل أنها دوائي الخاص.. بدأت في دراسة المكان جيدًا، تفقدت كل موقع فيه، الكاميرات موجودة في الجيم والممرات الرئيسية، أما الحمامات والجاكوزي والساونا وأماكن المساج فكلها خالية، فقط توجد على مداخلها كاميرات للمراقبة.. أعتقد أن تلك الزيارة قد حددت لي المكان الذي سأقوم فيه بعملي، فهو إما الساونا أو الجاكوزي.. فالمساج مستبعد لوجود موظف معنا، والحمامات غير آمنة، هذا إن أمكن أن أتواجد معه بمفردنا، وهذا ما لم أعلمه بعد.. فهذا هو هدفي في الزيارة القادمة...

*****

رسالة جديدة جاءتني، لكنها لم تكن إلا طلبًا للقاء في موقع تم تحديده فيها على أحد الشواطيء الخاصة.. في تلك المرة كنت في موعدي هناك، وكالعادة هي من سبقتني..

-ألا ترغب في أن تسبقني مرة ما؟..

-حسب علمي أنني في تلك المرة قد أتيت في موعدي..

-أعلم ذلك.. لكني أتحدث عن قدومك مبكرًا قبل الموعد..

-حتى وإن حدث، فأنا أثق أنكِ ستسبقينني في ذلك..

-يبدو أنك لا تعرفني.. عامة دعنا من هذا الهراء لندخل في صلب عملنا.. إن سيدي يتساءل لماذا كل هذا التأخير، فلائحتنا لا تتحمل التأجيل.

-إذًا فلتخبري سيدكِ ألا يتعجل حتى تتم اللائحة كلها بنجاح، لا يمكنني أن أخبركِ بشيء ما عن مهمتي الحالية، لكن ما قد يفيدكِ أن الموعد قد اقترب.. في المرة المقبلة عليكم ألا تتدخلوا في عملي، فأنا لا أقتل لمجرد القتل، وإلا كنت قد أنهيت المهمة سريعًا.. أنا أقتل بدون قتل وأنتم تعلمون ذلك.

أنهيت جملتي وغادرت المكان قبل أن تنطق هي بأي جملة على عكس ما توقعته تمامًا، فهي لم تستوقفني، يبدو أنها كانت تحفزني لا أكثر من أجل إتمام عملي، وهذا ما نجحت به، إن كانت ترمي إلى هذا.. وربما أكون قد فرضت سيطرتي على الأمر ولأول مرة، ولو في طريقة التنفيذ، حتى وإن كان هذا الاحتمال ضعيفًا فهو أمر يجعلني أشعر بفخر بسيط، ولكني في النهاية ما زلت تحت سطوتهم..

*****

أتت الزيارة الثالثة لي للمركز الصحي، أو لنقل موقع التنفيذ.. يومها حاولت أن أراقبه، تابعت كل تحركاته بحرص.. وجودي في المرات السابقة جعل العاملين بالمركز يعرفونني جيدًا، مما جعلني

لا أبدو غريبًا أمامه، هذا إن لاحظ وجودي من الأساس.. وجدته يقوم ببعض الرياضة الخفيفة ثم الجاكوزي والمساج، وبعدها يختتم جولته بالساونا، لأكون قد حسمت وجهتي وعلمت كيف سأنفذ مهمتي خلال زيارته القادمة لأنهي هذا الفصل الذي اعترف بصعوبته وبشدة، فحقًا هو أحد أصعب الأهداف التي كُلفت بها طيلة مسيرتي..

عدت لأرتّب حساباتي للمرة الأخيرة، لكن استوقفني شيء، تلك هي المرة الأولى التي أظهر فيها وجهًا لوجه لضحيتي في أي مهمة أقوم بها.. فدائمًا ما كنت أتخفى، لكن في تلك المرة لا مكان للتخفي. ترددت في التنفيذ، لكنني حرصت على أن أواصل ذهابي للمكان.. وفي يوم التنفيذ الجديد وجدتني ترددت مجددًا، فقررت التأجيل، فلا يجب أن أنفذ وأنا بداخلي ولو جزء بسيط من الشك.. وللمرة الأولى في مسيرتي أشعر بهذا التوتر أو التردد، الأمر الذي ضرب كل جنباتي بمنتهى القوة.. سعيت لكي أضبط إيقاعي في الفترة اللاحقة، عاودت دراسة مخططي من جديد، لكنني لم أتوصل لحل أفضل من ذلك.. في كل الأحوال أنا في وضع لا أحسد عليه. فإن فقدت حياتي وأنا أقوم بقتله، وهذا احتمال وارد وبشدة في كل مهمة لي، لكنه يتجلى في أعلى مراحله في تلك المرة. فدائمًا ما كنت أوقن أن تلك ستكون نهايتي، أسعى فقط لكي أؤجلها..

لم أخلف موعدي في الذهاب بعد هذا اليوم قط، إلى أن جاء يوم

التنفيذ التالي، والذي عزمت فيه أن أنهي هذا الفصل بشكل نهائي. استجمعت كل تركيزي.. قد يستغرب البعض لماذا أواظب على الذهاب إلى مكان سأقتل فيه شخصًا؟ إن دخولي إلى هذا المكان مرة أو مرتين فقط ويحدث فيهما شيء كهذا سيثير كل الشكوك حولي، لكن ذهابي المتكرر سيجعلني من مرتادي المكان العاديين، بل الأدهى من ذلك أنني سأواظب على الذهاب إليه حتى بعد تنفيذ تلك العملية..

وصلت للمكان قبل موعد وصوله، تتبعته جيدًا، ودخلت إلى الساونا قبل دخوله.. المكان هنا في الساونا يجعلها منفردة، تُقسّم من الداخل إلى عدة حجرات، كل واحدة تتسع لفرد أو اثنين على الأكثر. ما علمته أنه دائمًا ما يرتاد الغرفة رقم ثلاثة، لذا اخترت لنفسي موقعًا في الغرفة المجاورة لها.. تحملت سخونة الأجواء والحرارة علّها تذيب بضعًا من الدهون التي تكونت في تلك الفترة الماضية.. شعرت بقدومه وتأكدت من تواجده بمفرده، وجب عليّ أن أسرع الخُطى، فما أعلمه أنه لا يستغرق بالداخل أكثر من عشر دقائق.. فتحت باب الغرفة المتواجد بها لاقتحمها عليه، لكنني وجدته مستنكرًا اقتحامي المكان عليه بدون أي استئذان اعتقادًا منه أنني أحد الرعاع الذين يقتحمون الخصوصيات، أو محدث نعمة يأتي إلى هنا للمرة الأولى ويخوض أولى تجاربه في مثل تلك المنتجعات الصحية..

-عذرًا لقد حجزت المكان بمفردي، لا يمكنك الدخول إلى هنا خاصة

إن كنت بتلك الفظاظة، ألا تعرف آداب الاستئذان يارجل؟..

-عذرًا سيدي، لكنني أتيت إلى هنا من أجلك، أنا هنا لخدمتك..

نظر إليّ بكل تعجب بعد أن انسحبت قسمات الاستنكار على وجهه ليحل محلها التعجب، قبل أن يسألني بشكل معتاد، مثل كل هدف سبق لي وقتلته: مَن أنت، وماذا تريد؟ حتى أصبحت تلك الجملة هي أسوأ شيء في حياتي. إنها الجملة الروتينية التي تُشعل كل الغضب في داخلي وتشعرني بأنني قد اقتربت من موعد التنفيذ والحسم المنتظر لأبدأ بجملتي الأشهر دائمًا..

-بكل بساطة هناك من يريد قتلك، وأنا هنا لتنفيذ ذلك..

لم يكن هناك أي وقت لأستجوبه، فالدقائق والثواني في مهمتي تلك محسوبة بكل دقة.. لذا حقنته سريعًا بمادة الأدرينالين قبل أن أطرح عليه أسئلتى سريعًا..

-أنا أريد مساعدتك، ما حقنتك به لديّ علاجه، لكن أجبني سريعًا، مَن يريد قتلك؟..

-هناك العديدون في الخارج والداخل وهناك آخرون منافسون لي من أجل توريد شحنات أسلحة للداخل بشكل قانوني، كتلك التي تباع في المحال التجارية المرخصة، والأخرى التي تباع بشكل غير رسمي.. بأي شيء قمت بحقني به، ما هاا..

لم يُتم كلماته تلك، كان مفعول الحقنة قد عمل سريعًا اعتمادًا على كونه مصابًا بالقلب، فقد شرحت لك مسبقًا كيف سأنهي الأمر.. انتظرت تلك الحشرجة في حنجرته، مع اتساع في حدقة عينه، لأعلم يقينًا أن ملك الموت مجددًا برفقتي مرة أخرى يساندني في عملي الذي أقوم به، فقد ترافقنا سويًا عديد المرات، أنا أكون سببًا، ولكنه صاحب القول الفصل فيما أقوم به، وللآن لا أعلم كيف سيكون لقائي معه عندما يأتي أواني...

خرجت من المكان من مخرج آخر غير الذي دخل منه، فتلك الغرف لها مدخلان، لكن المكان الذي اخترته أنا لا توجد كاميرات عند مخرجه، لكنها توجد مبتعدة بعض الشيء عند عدة مداخل متعددة لقاعات المنتجع. أنهيت تواجدي وخرجت قبل أن يكتشفوا موته في المكان، بعدها علمت أنه قد تم العثور عليه متوفيًا إثر أزمة قلبية حادة.. أمر طبيعى لرجل مصاب بمرض القلب، وأجرى عمليات عدة من قبل..

وصلتنى التهنئة بالعمل من تلك الفاتنة وسيدها، وأعطوني راحة بسيطة قبل أن أقوم بعملي الجديد، وأيضًا حسابي قد امتلأ مرة أخرى بالمال نظير تلك المهمة.. لكنه كان عشرة أضعاف ما تلقيته في المرة السابقة، وكأنه إقرار منهم بأن تلك المهمة كانت أكثر تعقيدًا وصعوبة عن المهمة السابقة لها.. عاودت الذهاب لهذا المنتجع مجددًا وكأن

شيئًا لم يكن، لأزيل عني كل الشكوك عن حادثة وفاة طبيعية حدثت هناك.. عدة مرات كنت منتظمًا فيها، وبعدها زيارات شبه متقطعة، لكن ما زال التواصل موجودًا، ولنقل شيئًا آخر، إنني حقًا استمتعت بالخدمات التي يقدمونها هناك...

*****

زيارة

توجب عليّ أن أجري زيارة جديدة إلى صديقي أو سيدي الذي يساعدني في الخفاء، فلا بد من أن نتشاور فيما يحدث الآن.. حددت موعدي معه بناءً على طلبه، ذهبت إليه علّني أجد لديه أي جديد يفيدني فيما أقوم به.. تواجدت في موعدي وقبله بعدة دقائق، لأجد في استقبالي كالعادة هذا الشاب الذي يجلس في غرفة الاستقبال بملابس رسمية وكأنه آلة مبرمجة ينفذ كل ما يطلب منه بميكانيكية غريبة للغاية تجعله يصل للدقة المتناهية في عمله، وهذا هو ما يريده سيدي منه ومنا جميعًا، فلا يوجد لدينا أي مجال للأخطاء.. دقائق معدودة مرت قبل أن يأذن لي بالدخول بعد أن أتى إليه الأمر بذلك...

وجدت سيدي يجلس في انتظاري وهو يشعل سيجاره الفخم قبل أن يشير إليّ بالجلوس في مواجهته.. استمتع في البداية بنفحات الدخان الأولى من هذا السيجار والتي أنعشت رئتيه بشكل لحظي لكنها كانت تهدم فيهما ببطء شديد، وتدفعه لنهايته الأليمة.. بعدها قرر أن يبدأ الحوار:

-حقًا ما زلت تبهرني.. فرغم كل الضغوط التي تتعرض لها، ما زلت الأفضل فيما تقوم به من عمل.

-تلك إشادة أعتز بها يا سيدى..

-أنت تستحق ذلك وأكثر.. فلقد قمت بمهمة صعبة للغاية بدون أي دليل أو أي شك في كونها جريمة..

-أتمنى أن أكون قد نلت رضاك.. لكنني آمل أن انتهي من ذلك.. فما زلت أُمني نفسي أن أجد لديك يا سيدي أي شيء جديد قد يفيدني..

نظر إليّ بكل مكرٍ يتفحصني قبل أن يفتح درج مكتبه ليخرج منه ملفًا يضعه أمامي مشيرًا إليّ به لأتناوله وأتفحصه بشكل سريع بينما هو يرقبني قبل أن يتحدث من جديد:

-في المرة الماضية أرسلت لك صورًا لتلك الفتاة بمظاهر عدة وأسماء وجنسيات مختلفة لها.. لكن هذا الملف يحوي شيئًا جديدًا من أجلك، صديق لي بالخارج زودني به.. ما يحويه من معلومات عنها يؤكد مدى خطورتها، أتمنى أن تدرسه جيدًا حتى تعلم مع من تتعامل.. والشيء الذي أؤكده لك أن تلك الفتاة ليست بمفردها، بل إن من يعمل خلفها ويحركها من خلف الكواليس ليس بالشخص الهين..

-حسنًا يا سيدي، أعدك أنني سأدرسه بعناية شديدة، لكن لي استفسارًا: لماذا لم تمنعني من قتل الهدفين السابقين؟..

-الأمر معقد، هدفاك السابقان هما رجلا أعمال من بين الأكبر والأشهر، لكنهما بدآ في افتعال مشاكل سواء في الداخل أو الخارج.. كنت أتوقع أن يتم التخلص منهما مستقبلاً بأي شكل من الأشكال.. لذا لم أمنعك.. فعلى أي حال ستكون قد أسديت خدمة لأي طرف آخر..

لكن الغريب أن من يريد ذلك غير متواجد على الساحة أو معلوم لنا حتى.. ليس لي وحدي بل لي ولمن معي.

-إذًا فأنا قد أكون سبيلكم الوحيد لذلك؟..

-في الواقع نعم. وعليك أن تطمئن.. فنحن خلفك بكل السبل المتاحة.. استمر في عملك ولنبقى على تواصل..

علمت من جملته تلك أن الحوار بيننا قد انتهى.. استأذنت منه بكل أدب مغادرًا المكان لأعود لمسكني حتى أدرس ما لديّ من مستجدات.. لكن استوقفتني كلمته حول التخلص من هدفي بأي شكل من الأشكال. كان هذا هو الصراع الداخلي لعقلي طيلة طريق العودة.. التصفيات تأتى بأوجه عدة، إما جسدية مثلما قمت به، أو تصفية مهنية من توجيه ضربات مختلفة نحو مؤسساتهم المالية لضربهم في مواقع قاتلة تجعلهم إما يخرجون من الساحة تمامًا أو يعملون في الظل تحت قيادة السادة.. أما الحل الآخر فهو التشويه إما سياسيًا أو اقتصاديًا، أو فضائح متنوعة، والزج بهم في قضايا مثيرة، وربما تستقبلهم السجون بشكل شرفي لبعض الوقت من أجل إذلالهم لا أكثر.. ليكونوا في النهاية طوع من هم أكبر منهم.. وكأننا في صراع القوة الذي نراه في الغابات بين الوحوش الضارية، لكن تلك الوحوش تتحدث بلغة المال.. والصراع دائمًا ما يكون على السلطة ونفوذها ورأس المال وبريقه..

*****

ما لديّ من معلومات لم يكن بالهيّن أو البسيط.. مرة أخرى يمدني سيدي بمعلومات معقدة، وليست تلك المشكلة فقط، لكن ما لديّ من أعمال سابقة قامت بها تلك الفاتنة موجود لديّ. فيبدو أن فاتنتي تلك ما هي إلا مرتزقة محترفة تجيد التعامل بعدة لغات من ضمنها العربية. عملت من قبل مع أكثر من منظمة تابعة للمافيا بمختلف أنواعها أو ما هو غيرها. كذلك عملت مع شبكات تجسس مرتزقة تقوم ببعض المهام لجهات حكومية في دول مختلفة. أيضًا سبق لها أن تعاونت مع بعض أجهزة المخابرات في بعض دول الشرق الأوروبـي. توالت بعد ذلك العديد من المعلومات عنها، كلها لم تخرج عن إطار الخطر المحدق الذي ينتظرني، فهي بكل تأكيد لا تعمل بمفردها بل هناك من يقف خلفها ويحركها لإتمام تلك المهمة، لأجد الأبـواب الخلفية تمدني بمعلومات مهمة من جديد لكنها في تلك المرة ليست لهدف أسعى لتصفيته بل لصائد يسعى لتصفيتي أنا شخصيًا واستغلالي من أجل تنفيذ خطته المبهمة المعالم والأسباب..

فأنا لست إلا وسيلة أو أداة يتم بها تنفيذ ما يريدونه حتى لا تقع عليهم أي عواقب، وإن فشلت في عملي فسيأتي من يخلفني ليتم الأمر برمته، وإن فشل فسيتبعه آخر، وهكذا تستمر اللعبة، لأن تقفل الحلقة كاملة. لم يزدني ذلك إلا حيرة في أمري، فبعد أن كنت أرغب في الانتقام، أصبح كل ما يجول في خاطري هو رغبة من أجل البقاء على قيد الحياة

في نهاية المطاف، فأي هفوة ستعرضني لمواجهة مصير مَن أقوم بقتلهم. وحتى إن أتممت عملي قد ألقى مصيرهم على أية حال حتى لا يتركوا خلفهم دليلاً واحدًا، فما أنا إلا كارت صغير يلعبون به، وإن تم حرقه على طاولة اللعب سيتم تمزيقه بكل أريحية واللعب بكارت مغاير وجديد...

اشتعلت الحيرة بداخلي بشكل أكبر واشتعل رأسي بالفكر العقيم الذي لا يؤدي إلى شيء جديد، كل ما لديّ هي معلومات ترهبني أكثر مما أنا فيه، لكن لا يوجد خيط رفيع واحد أتعلق به إلا حبال الهوى المعلقة في رقبة تلك الفاتنة التي تحركني. الآن أصبحت أملك معلومات أكثر عنها، كما أنني أعرف اسمها الحركي على الأقل في الوسط الذي تعمل فيه. فكرت مجددًا في مباغتتها بكل هذا في المرة المقبلة، لكن من جديد عاودت مراجعة نفسي فربما لو نطقت بحرف واحد من كل هذا يكون أجلي قد حان بعدها...

استمرت حالة الارتباك وعدم الفهم لأيام عدة، حتى أنني لم أتلقَ أي اتصال منها على غير العادة، لكنني كنت أعلم أن وقت عملي التالي لم يحن بعد، أو ربما أن مهمتي قد انتهت. وقد يكونوا يرتبون لموتي الآن.. لكني دائمًا كنت أعود لصديقي الصمت وحليفي الانتظار من أجل اللحظة التالية...

لكني لم أكن أتوقع أن تكون المهمة التالية بتلك الطريقة.. اتصال

هاتفي تلقيته منها، توقعت تحديد موعد ومكان للقاء، لكنها أخبرتني أن أتصفح حسابي الإلكتروني لأجد هناك مهمتي الجديدة. تلك المرة الهدف هو سيدة، وهو أمر لم أعتد عليه كثيرًا، حيث إنني كنت غالبًا ما أرفض مثل تلك المهام، فلا أراها من الشهامة أن أقوم بقتل امرأة. لكنني الآن مجبر على فعل ذلك بدون أي رفض. كالعادة جلست أتفحص ملفها حتى أحدد كيف ستتم مهمتي الجديدة، وأنا أخطو خطوتي الثالثة، أو لنقل الفصل الثالث من فصول رحلتي..

*****

الفصل الثالث

فضلاً عن أن هدفي في تلك المرة هي سيدة، إلا أنها سيدة مجتمع من بين الأشهر.. امرأة حقوقية مشهورة، ضيفة دائمة على شاشات التلفاز، وقلمها يشار له بالبنان على أوراق الصحف.. هدفي تلك المرة يختلف عن الهدفين الآخرين، فهي ليست بسيدة أعمال أو ما إلى ذلك، كل ما هناك أنها امرأة حقوقية تنشط في مجال المرأة والسياسة وحقوق الإنسان، وتدير جمعية حقوقية في مصر.. دارت في ذهني العديد من الأخبار التي نسمعها دومًا في الإعلام عن الحقوقيين والتمويلات الخارجية، ومَن منهم يخون الوطن، ومن منهم ينتمي وبشدة لتراب تلك الأرض. لم يسترع اهتمامي أيًا من هذا، فأنا لا أنشغل إلا بعملي. سعيت أكثر لأعرف عن تلك السيدة وعن عملها الحقوقي. لم أجدها من بين المعارضين أو حتى المؤيدين، بل لنقل إنها تقف على الصراط بين الجنة والجحيم. لها ما يجعلها في هذا الجانب، وآخر يحسبها على ذاك. لكن أيضًا لا أجد أي مبرر قوي لقتلها، فقتيليّ السابقان هما رجلا أعمال من الممكن أن يكون الصراع على المال قد أدى بهما إلى هذا المصير..

كالعادة ومنذ بداية تلك المهمة اللعينة، وأنا لا أفهم شيئًا، أقبع في الدرك الأسفل من نهر الأغبياء. لا أدري هل هذا هو قدر ذكائي

وسط الأغبياء؟ أم أن قدراتي العقلية قد توقفت عن العمل، وبدأت في الانحدار للأسفل لتصل بى لهذا المستوى؟. حاولت جاهدًا أن أجد أي رابط بين تلك الأهداف، وجدت شيئًا واحدًا، مجرد مقالة مكتوبة خطها قلم هذه الحقوقية تهاجم فيها بعض رجال الأعمال وتجار السلاح. وجدت بين الأسماء المسرودة فيها اسم قتيلي السابق. حاولت أن أربطت الأمور بعضها ببعض، لكن المنطقي أن يطلب قتيلي السابق قتلها بعد أن هاجمته، لكن ما حدث أنه هو من مات قبلها فقد طُلب مني قتله قبلها. ربما يكون هناك شيء يربطهما ببعضهما البعض، أمر يجب أن أتحصل عليه منها شخصيًا..

هداني تفكيري للبحث عن أي رابط بينها وبين قتيلي الثاني.. لقد استغرق الأمر مني ساعات طوال، لكن في النهاية لم أتحصل على أي شيء.. ربما تواجدهما في مناسبات اجتماعية لأصدقاء مشتركين، لكن لا توجد أي علاقة وطيدة بينهما أو عمل شرعي أو غير شرعي يربطهما ببعضهما البعض. لكن الآن عليّ أن أركز على قتيلتي الجديدة. مثل المرات السابقة لديّ تفاصيل كاملة عن مكان عملها ومنزلها. ما أجده غريبًا أن أهدافي حتى الآن يعيشون منفردين، حتى تلك المرأة، أرملة منذ زمن بعيد، ليس لديها أبناء، في بداية الخمسينيات من العمر، تحيا وحيدة برفقة خادمتها التي تغادر المنزل ليلاً، وهذا ما عرفته من مراقبتها، وجدتها تقطن في إحدى الشقق بعمارة شبه أثرية، فتلك

هي شقة زواجها التي رفضت مغادرتها رغم شهرتها الكبيرة الآن والتي تمكنها من الانتقال إلى أفخم المناطق السكنية. ربما هذا من حسن طالعي في تلك المهمة، فالوصول إليها لن يكون أمرًا صعبًا وكذلك تنفيذ عمليتي، لكن الأهم الآن هو أن أعرف منها أي شيء يفيدني لحل اللغز الذي أدور في فلكه دون أي تقدم يُذكر..

فقط تبقى أمر واحد قبل أن أشرع في البدء، وهو الولوج للأبواب الخلفية لضحيتي. ساحتها الخلفية لم تكن نظيفة تمامًا، لكن سلاحها كان قلمها، والاستغلال هو وسيلتها، توجيه حملات شرسة على الكثير من المسئولين ورجال الأعمال. الحملات في مظهرها الخارجي تبدو لنا جميعًا بدافع الوطنية والبحث عن مصلحة الفقراء وضحايا هذا الوطن، وبعضهم كان هذا هو هدفه، لكن أغلبهم أوقف الاستمرار به بدون أي مقدمات أو أسباب تدفع لذلك، فلم تكن تلك الحملات قد حققت هدفها، لكن صاحبتها كانت قد حققت الهدف، إما شهرة إضافية، أو نفوذ في بقعة ما، أو زيادة في أرصدة بنكية، أو امتيازات عقارية. لنقول إنها كانت تخوض معارك في الظل، ظاهرها يهدف للصالح العام، وباطنها يهدف لصالح شخصيتها فقط. إذًا قد أعثر على سبب ما لطلب التخلص منها، لكن ليس بتلك الطريقة التي طُلبت مني، وربطها بالهدفين السابقين...

حددت موعدي سريعًا لإتمام المهمة، لم أجد أي مشقة في الوصول

إلى غرفة نومها وليس منزلها فقط. المباني القديمة تمتاز بعدة مداخل في هذا الوقت المتأخر من الليل، ومع سكان العقار الأكبر سنًا نوعًا ما، كان من السهل تسللي والولوج إليها، وجدتها تغط في نوم عميق، سعيت لإيقاظها وكان هذا هو العناء الأكبر في مهمتي حتى الآن. لكنني فهمت السبب، عندما وجدت على الكومود المجاور لفراشها حبوبًا مهدئة، يبدو أنها تناولت بعضها قبل النوم، لكنني لم أكن لآتى هنا لأجدها نائمة وأتركها. أيقظتها في النهاية فنظرت لي بدون فهم وبرعب كبير.. تنظر إليّ لتدرس أبعاد الموقف.. امرأة بمفردها تواجه رجلاً متشحًا بالسواد، ويُشهر سلاحه في وجهها. أخذت بعض الثواني حتى أيقنت ما يدور حولها، إنها إما محاولة لقتلها أو سرقتها. تلقت تحذيراتي لها بعدم إصدار أي ضوضاء حتى تبقى على قيد الحياة، وإن فعلت هذا عند نزعي اللاصقة التي وضعتها على فمها ستغادر بلا رجعة. أخرجت من سترتي صورتين لقتيليّ السابقين وألقيتهما بجوارها على فراشها، مشيرًا إليها لتتلقفهما قبل أن أنزع تلك اللاصقة عنها وأبدأ بتوجيه الحديث إليها:

-هل تعرفين هذين الرجلين يا سيدتي؟...

-نعم.. نعم أعرفهما.. كلاهما رجلا أعمال، وقد توفيا في الأشهر الماضية، أحدهما بأزمة قلبية والآخر بانفجار معمله.. فما شأني بهما..

-بل لنقل يا سيدتي إن كليهما قد قتلا.. وأنتِ الثالثة في لائحة قتلهما.. أنا لم أتمكن من إنقاذهما، وأتمنى أن أفعل ذلك معكِ.. فأرجوكِ ساعديني إن كنتِ تريدين النجاة حتى أستطيع مساعدتكِ..

-وكيف لي أن أساعدك؟.. وأنت كيف ستساعدني؟.. وفوق هذا مَن أنت من الأساس؟.. وكيف تقول إنهما قد قتلا؟ فأنا صحفية شهيرة، إن لم تكن تعرفني، وكل التحقيقات تفيد أن موتهما هو أمر طبيعي بدون أية شبهة جنائية..

-حسنًا، مَن أنا.. فلنقل إنني السبيل الوحيد لنجاتكِ، والأمر الآن لا يتحمل أي أنواع الشرح، فالوقت يداهمنا وبشدة.. أما عن كيفية مساعدتكِ لي، فيمكنك أن تساعديني بإخباري بكل شيء قد يتوافر لديكِ عنهما، وهل لكِ علاقة بهما، ولو سطحية حتى؟.. وأنا أساعدكِ بحمايتكِ وتأخير عملية قتلكِ لحين وجود حل جذري للأمر برمته..

أخذت السيدة بعض الوقت حتى تتمكن من استعادة تركيزها في الأمر، طلبت مني أن تصنع لنفسها قدحًا من القهوة حتى يمكنها أن تفيدني في الأمر، سمحت لها بذلك. وفي المطبخ ساعدتها في إعداد القهوة، لا للشيء، ولكن لتكتمل خطتي. فبعد الانتهاء من إعداد القهوة تركت الغاز يتسرب حتى يكون وسيلتي الجديدة، لكنه لن يتم قبل أن أستجوبها. تركتها حتى احتست القهوة، ثم عدنا مجددًا لإكمال حديثنا:

-سيدتي، هل انتهيتِ؟..

تنبَهت إلـيّ بعد أن شَردت قليلاً أثناء احتسائها للقهوة، فعادت لتحدثني وهي مرتبكة مرتعدة مما هي مقبلة عليه، ولديها كل الحق في ذلك..

-اعذرني، أنا لا أفهم ما تقول، أنت تهددني الآن وتريدني أن أساعدك حتى تحميني، فكيف لي أن أضمن هذا، وكيف لك أن تساعدني؟..

-أنـا هنا لا أريـد إلا مساعدتكِ، لا أريـد إيـذاءكِ، لقد حاولت من قبل مساعدة هذين الرجلين، لكنهما لم يساعداني، ولـم أستطع مساعدتهما، أنا لا أريد منكِ سوى أي شيء بسيط قد يفيد، ما تعرفينه عنهما، وعلاقتكِ بهما، وأي خطر قد يُحدق بكِ من أي شخص آخر..

استرسلت في الحديث تقص عليّ ما تعرفه عنهما من أمور عامة لا جديد فيها، كل ما قالته أعرفه، حتى عندما أخبرتني عن كتابتها لمقال هاجمت فيه أحدهما لتجارة السلاح. لكنها في النهاية أخبرتني أن الأمر لم يتعدَ ذلك. بدأت الحديث عن نفسها وعن عملها الحقوقي وأنها تتعرض لبعض الضغوط من جهات أمنية في الداخل في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى تلقى ضغوطًا من مؤسسات دولية خارجية لتسييس بعض الأمور، أو عرضها على من بيدهم الأمر، أو أن تمارس بعض الضغط على الدولة. حاولت أن أعرف منها أكثر عن ذلك، لكنها لم تكن صريحة معي ولم تخبرني بكل شيء، حاولَت أن تضفي على نفسها المثالية، وأنها لا تعمل إلا من واعز ضميرها الذي يحركها للحق

دومًا دونما أي شيء آخر. لكنني وجدت في نظرات عينيها أشياء أخرى تنم عن مراوغتها لي. لكن لم يسعني الوقت لأعرفها، فقد سقط منها فنجان القهوة بعد أن غالبها النوم من تأثير الحبوب المهدئة التي وضعتها لها في فنجانها أثناء إعداده، فقد استعرت بعض الحبوب من علبة دوائها الخاصة. بدأت وقتها أشتم رائحة الغاز تظهر جلية في أركان الشقة، كتمت أنفاسي وحملتها إلى المطبخ لأدعها تشم رائحة الغاز مباشرة، حتى تأكدت من خروج روحها من جسدها، أعدتها من جديد إلى صالة المنزل وأسجيتها على الأريكة المواجهة للتلفاز مشعلاً إياه وأبقيتها تشاهده مع رائحة الغاز التي بدأت تملأ المكان من حولي حتى كدت أختنق. التقطت بعض أنفاسي ثم أخذت فنجان القهوة وقمت بغسله جيدًا حتى لا يبقى فيه أي أثر، وكذلك الدورق الذي أعددت فيه القهوة ليعود كل شيء كما كان.. امرأة وحيدة أخذت عدة حبوب مهدئة معتادة عليها، ونسيت أن تطفيء الموقد فتسرب الغاز إليها أثناء نومها وتركها جثة هامدة.. كالعادة قتل بلا قتل...

عدت إلى مسكني مرة أخرى، وسعيت جاهدًا لأطرد بقايا الغاز التي أبت أن تغادر رئتاي. عانيت من الأمر لعدة أيام، تناولت خلالها أدوية توسّع الشُعب الهوائية. كنت أعاني من التنفس كثيرًا، وأسعل باستمرار. فقد كنت في تلك المرة على حافة الموت المحدق، لولا أن تداركت نفسي..

أعترف أنني لم أكن قد خططت لتلك الميتة، لكنها هي من أوحت إليّ بتلك الفكرة، وتركت لعقلي العنان حتى يرتجل تلك الطريقة السريعة لموتها. وجدت بعدها كل وسائل الإعلام وكافة المؤسسات الحقوقية في الداخل والخارج تنعيها حزنًا على وفاتها التي يندى لها الجبين...

*****

حوادث

تلقيت اتصالاً من عوني الوحيد في تلك الحيرة التي أقبع بين براثينها. سيدي أو صديقي الذي اتخذته معاونًا لي. طلب أن يلقاني على وجه السرعة، توجهت إليه حيث أراد لقائي، لم يكن في مكتبه تلك المرة، بل إنها المرة الأولى التي أراه فيها يأتي إليّ. لم ينتظر حتى أذهب إليه، بل أخبرني أنه متواجد في المدينة التي أقيم فيها. حدّد الموعد والمكان فذهبت لأقابله. انتشر رجاله في كل مكان من حوله يؤمنون لقاءنا، وجدته يجلس على منضدة في المطعم الذي طلبني فيه، والمكان بأكمله قد حُجز على شرفه. أشار إليّ بالجلوس بينما هو يتناول طعامه قبل أن يبتلع تلك اللقيمات التي دسها في فمه قبل دخولي ليستعيد بعدها هيبته معلنًا نهاية تلك الوجبة السريعة ليشرع في قيادة دفة الحديث كالعادة:

-لديّ معلومات جديدة.. قد تقرّبنا أكثر من هدفنا.

-هذا ما أرغب فيه يا سيدي.. وأتمنى أن أستطيع الوصول إليهم سريعًا.

-قتيلتك الأخيرة كانت تعمل في مؤسسة دولية لحقوق الإنسان، تلك المؤسسة فقدت خمسة من أبرز رجالها على مستوى العالم. كلهم أحداث وفاة طبيعية، لكن بعد ما قمت به جعلني هذا أشك في الأمر.

الشيء الأكثر لفتًا للانتباه أن تلك المنظمة أوقفت عملها بشكل جزئي في بعض البلدان، بل وأغلقتها بشكل كامل في البعض الآخر..

-اسمح لي يا سيدي.. أيعني هذا أن من يريدها لا يريدها بمفردها بل يريد المنظمة بالكامل؟.

-هذا شيء محتمل وبشدة، وقد يكون مجرد مصادفة لمصالح داخلية مع تلك السيدة..

-هذا أيضًا وارد، لأن قائمتي ضمت قبلها أشخاصًا ليست لهم علاقة بتلك المؤسسة..

-كل ذلك قد دار بخلدي، مما دفعني لإجراء بعض التحقيقات في الأمر.. هدفك الأول كان يريد شراء أدوية من الخارج، بعض منافسيه لهم علاقة بتلك المؤسسة بشكل مباشر أو غير مباشر، وكذلك بعض شركائه.. هدفك الثاني لديه شراكة في شركات سلاح في الخارج ودائم التعرض للانتقادات والمهاجمة من تلك المؤسسة التي تتبعها تلك الحقوقية..

-إذًا هناك عداوة أو خلافات بين أهدافي وتلك المنظمة، إلا آخرهم فهي تعمل معهم، هذا أيضًا قد يكون كله عبثيًا..

-ربما يكون الأمر كذلك.. لكن أنا لا أرى أي عبثية في هذا الأمر.. ربما أيضًا يكون كل ما يحدث هو تمويه لشيء آخر غير كل ما نفكر فيه..

عامة هذا الملف ستجد فيه كل ما تريده من معلومات، وأتمنى أن أراك المرة المقبلة بخير.

أنهيت لقائي كالعادة بأوامره، وبدون أي مقدمات حصلت على ملف مليء بالمعلومات ليكون هو دراستي التالية، عسى أن أصل إلى أي شيء جديد يفيدني في ما أنا فيه..

*****

ما لديّ من أوراق ومعلومات هي دراسة كاملة لما حدث لتلك المنظمة.. خمسة من أبرز أعضائها قد توفوا خلال العام الأخير، وقتيلتي الأخيرة هي سادسهم. ما علمته أن تلك المنظمة تعرضت لعدة ضغوطات من منظمات وجهات معلومة وغير معلومة، هدفاي السابقان كانت تلك المنظمة الحقوقية على خلاف مع شركاء ومنافسي أحدهما، والثاني كانوا على خلاف مباشر معه لعمله في الإتجار بالسلاح. لكن مرة أخرى أعود لنقطتي الأولى: لو أن الهدف هو التخلص من تلك المنظمة الحقوقية، فعلى الأقل الاسم الثاني في لائحتي لن يكون من ضمن تلك اللائحة، لأنه أحد أبرز الراغبين في التخلص منهم؟! فما لديّ هنا قائمة بصفقات غير شرعية للسلاح تتبع شركة تكنولوجيا الأسلحة التي يمتلك جزءًا منها. وأجد أيضًا محاولات حثيثة من تلك المنظمة لردع مثل تلك الأعمال. الأمر الآخر أن هدفي الأول قاتل من أجل الحصول على حقوق تصنيع دواء عالمي لمرضى الكبد في بلدنا

تلك. لكن الشركة الأجنبية التي أراد أن يوقع معها لديها أعمال أخرى غير شرعية على المستوى الطبي والصحي، لكنها لم تكن على لائحة اهتمامات المنظمة الأولى، لكنها أتت في سطر هامشي قد لا يلاحظه أحد، لولا أن رأيته بعد تدقيق بالغ في كل ما لديّ من معلومات. وضعوا تلك الشركة على خريطتهم الحقوقية المستقبلية، لكن كان لديهم ما هو أكثر أهمية منهم.....

أشعر أن رئيسي لديه معلومات أو خيط آخر في تلك العملية لكنه لم يخبرني به بعد، أو أنه تركني أجد هذا بنفسي، وربما يشك في أمر ليس مؤكدًا، لذا لم يخبرني به، حتى لا يزيد من حيرتي. أو ربما يريدني أن أختبر مدى حقيقة هذا الأمر الذي لا أعرفه بعد، بل ربما تكون كل تلك مجرد خيالات تدور برأسي لا أكثر....

الأمور تتعقد كلما تقدمت خطوة إلى الأمام.. لديّ الآن عمل متقن يسير بشكل دولي في عدة بلدان أخرى، فهذا أصبح افتراضًا واردًا وبشدة. ولديّ وسيطة هي عبارة عن مرتزقة من بين الأمهر في العالم، حتى كنيتها واسمها الحقيقي غير معلوم على الأقل لي. ولديّ شخص يوجهني قد استطاع أن يخترق الشبكة التي أعمل من خلالها، استطاع أن ينفذ دون علم رئيسي المباشر، أو بمعنى أدق خط دفاعي الأخير. يتعامل بنفس طريقتي بالاتصال، بل يتعامل بأسلوب أفضل، اختار حيلتي حتى يلاعبني فيها ويسقطني في فخه مرغمًا ليجعلني دائمًا في

الموقع الأضعف...

إذًا لماذا لا أبدأ من النهاية؟ هكذا هداني تفكيري.. لماذا لا أربط الخيوط بشكل مغاير؟ لأفترض أنني بدأت بالرقم ثلاثة، فمن المحتمل أن يكون الرقم اثنان هو المتسبب في الأمر، أو شركاء للرقم واحد هم الفاعلون؟ إذا فأنا لديّ مستفيد في الأمر، شخص آخر يرغب في التخلص منهم جميعًا، أو ربما أشخاص عدة يسعون لذلك. لو أنني ركنت إلى هذا الأمر، فأنا إذًا أمام شيء أكثر سرية أو أكثر قوة يريد أن يتخلص من شخصيات بهذا الثقل، إما أن يكون مثلهم، أو أن يكون أكبر بكثير وهذا هو الأوقع...

إذًا عليّ أن أقسّم عملي إلى ثلاثة أشياء: أستمر في تحصيل المعلومات حتى أعلم من يستغلني بهذا الشكل إلى أن يجد جديد. أن أحدد من وشي بي، وأن أنتقم منه. أما الأمر الأخير، فهو أن أبقي على نفسي حيًا حتى كتابة الفصل الأخير من تلك اللعبة..

بدأت أدقق في كيفية وفاة الأعضاء الآخرين بالمنظمة الحقوقية، ربما أجد ما هو جديد لأتعلمه. أمامي خمس حالات وفاة كلها سُجلت طبيعية، لكنها جميعًا كانت محل شك بالنسبة لي، فأنا لست وحدي مَن يقوم بهذا العمل، بل هناك العديدون حول العالم أفضل مني، يقتلون بدون أي أثر، وما أنا إلا تلميذ في تلك المدرسة. شغلني أمر واحد، هو شخص من بين هؤلاء قد مات في حادث، نعم حادث سيارة، هذا أمر

غريب بالنسبة للحالات الأخرى، لكن التفسير الوحيد هو أن من قام بتلك المهمة ليس بالكفاءة بما كان لينفذ الأمر...

أرسلت لسيدي ما لديّ من استفسارات، وطالبته بخدمة جديدة، أن يبحث في هذا البلد عن شخص مثلي يقوم بعملي، لكن يكون قد حدث له أمر مغاير، أو اختفاء قسري. فظني الوحيد أنهم لن يتركوا شخصًا مثله على قيد الحياة لفشله في تلك المهمة من وجهة نظرهم، خصوصًا أنها كانت حالة الوفاة الأولى، تلاها بعد ذلك الحالات الأربعة الأخرى بدون أي دليل، كلها وفيات طبيعية...

لم يطل انتظاري كثيرًا، فقط ثلاثة أيام، علمت بعدها أن شكي قد أصاب موقعه. في هذا البلد تعرّض أحد القتلة المأجورين لعملية تمثيل بجثته، وليس جريمة قتل عادية. ما علمته أنه عُثر عليه مكبل اليدين معلقًا في حلقة ما في سقف منزله ويداه مربوطتين بسلاسل تشد كل منهما تجاه أحد جدران المنزل، جسده كله كان عاريًا، أسنانه جميعًا تم خلعها في مشهد مثير للشفقة عليه. جسده بالكامل قد دهسته السكاكين، وكأنها فرشة فنان تشكيلي ترسم لوحة معبّرة، لا تفهم منها أي شيء.. الرسالة بدت واضحة، أن من يخطئ أو يحاول العبث سيلقى نفس المصير. لكن بعد هذا المصير الذي رأيته، وأنهم قادرون على فعل ذلك به، فلماذا يستعينون بي وبأمثالي لإتمام أعمالهم؟ هل يسعون من أجل إتقاء الشبهات؟ فلنستبعد هذا، لأنهم فعلوا به كل هذا ولم

يعثر عليهم أحد.. ربما يكون الهدف الثاني أن أكون أنا وأمثالي كبش الفداء في حالة كشف أمرنا، أو ربما نكون كبش فداء في أي وقت متى يريدون..

لكن هذا القاتل قد عثروا عليه بطريقة عمل مختلفة غير التي أعمل بها. إنه قاتل مأجور معروف يمكنك العثور عليه من شبكات الويب ديب. لن تجد تلك الشبكات على محركات البحث العادية، بل لتصل إليه ستستخدم محركات بحث مختلفة، لكن لكي تقوم بجولة مثل تلك عليك أن تكون من بين محترفي البرمجيات والهاكرز، حتى لا تتعرض لهجوم مضاد من مبرمجي تلك المواقع، فلن يسمحوا لك بالولوج والخروج بكل سهولة من مواقعهم. فبمجرد دخولك تصبح كتابًا مفتوحًا لهم من خلال الجهاز التي تستخدمه، لكني أعمل بنظام مغاير تمامًا. ولتعلم أن تصفية قاتل يعمل لإحدى تلك الشبكات هو أمر أكثر تعقيدًا. فبمجرد أن تفعل ذلك أو تنجح فيه ستجد سربًا كاملاً من القتلة يتتبعونك للانتقام منك، إلا إن كنت أنت من بين محركيهم أو قادرًا على تحريكهم، وقتها فقط يمكنك إيقافهم..

ربما أكررها كثيرًا، لكنني في حيرة، لا أعلم ماذا أفعل، أنا مهدد، ولست مستأجرًا لإتمام عمل ما. إن فشلت في إحدى تلك المهام، أو نفذتها بشكل غير صحيح، فالتمثيل بي هو ما ينتظرني كما حدث لغيري. ربما يكون هذا مجرد مصادفة، وأن من تم التمثيل به لا علاقة

له بهم. لكن لا مجال للمصادفة الآن، عليّ أن أدرس كل احتمال ممكن حتى وإن كان خاطئًا. الأمر التالي الذي بدر في مخيلتي، هو أن أبحث عن وفاة أي شخص له علاقة بمن قمت بإنهاء حياتهم، أو له علاقة برجال منظمة حقوق الإنسان.. لكني لا أملك الوقت لكل هذا، لكن لديّ من يمكن أن يساعدني، لم أتلق منه الرد الشافي الذي يساعدني، لكنه وعدني بأن يبذل أقصى ما لديه من أجل مساعدتي تلك المرة أيضًا في حصد معلومات جديدة.....

*****

الفصل الرابع

مهمة جديدة لاحت في الأفق.. اتصال معتاد أتاني من مراودتي ككل مرة تريد إخباري بمهمتي الجديدة، أو تود أن تمدني بالتعليمات، لكنها في تلك المرة عادت لمقابلتي من جديد. حددت الموعد والمكان للقاء، ولم يكن بالمكان البعيد أو الغريب، لقد أخبرتني أنها ستزورني في منزلي الذي أقطن به حاليًا.. فكرت جليًا في أن أستدرجها تلك المرة، ولمَ لا تكون هي من تريد أن تستدرجني لأجد نفسي أوحل بقدمي بشكل أكبر في مستنقعهم الذي أصارع الآن للخروج منه؟. قبل أن يسرقني الوقت تخلصت من كل ما لديّ من معلومات عنها، أو ما توصلت إليه من خيوط قد توصلني لمؤسستها، أخفيتهم سريعًا في مخبأي السري في تلك البناية التي لا يقطن فيها حاليًا أحد غيري، فأغلب مرتاديها لا يأتون إلا صيفًا. بينما احتفظت بنسخة الكترونية أخفيتها هي الأخرى في موقع آخر...

انتظرتها في الموعد المحدد، لم أتجمل أو أتزين بما فيه بهرجة، بل كنت مستعدًا للقاء بشكل مقبول. أما منزلي فلم يُرتب كما ينبغي هو الآخر. تركته يعكس حالتي الحالية من انعدام الترتيب والفكر. كالعادة وفي موعدها ارتفع صوت زمجرة السيارات الجرارة يُعلن عن قدومها، بعدها بدقائق سمعت طرقاتها على الباب. لم أتاخر كثيرًا قبل

أن أجيب النداء النابع من داخلي عن لقياها قبل نداء طرقاتها، ليس نداء الانتقام، لكنه نداء العاطفة بداخلي فأنا ورغم كل شيء أجد في قلبي مضغة صغيرة تتجه نحوها..

عندما فتحت الباب وجدتها أمامي في قمة جمالها وغنجها المعتاد، لم أعد أتذكر لون شعرها من كثرة تغييرها له في كل مرة، ولا حتى عدسات عينيها اللاصقة، دائمًا ما أجد نفسي أمام عائق تذكر لونهما. لكنها في تلك المرة كانت أشبه بالدمى، ترتدي قميصًا شفافًا فضح الكثير من صدرها الذي تعمدت إظهاره، وأسفل منه تنورة قصيرة للغاية، كما هي دائمًا، تبدي أكثر مما تُخفي، مما جعلني أتساءل: هل تتعمد ذلك من أجل إرباكي، أم أنها طبيعتها الأنثوية تطغى عليها إلى تلك الدرجة؟...

أزاحتني من طريقها وهي تتجه إلى تلك الأريكة التي تتوسط البهو الصغير لديّ، فهي أصبحت تعرف طريقها جيدًا في أرجاء المنزل منذ زيارتها السابقة. أشارت إليّ بالجلوس وكأنها هي سيدة هذا المنزل وتقوم بمضايفتي وليس أنا من عليّ القيام بذلك، قبل أن تتغير انطباعات وجهها إلى الحزن المصطنع على تلك الدمية التي لطخت مساحيق التجميل معالمها ليصعب التعرف عليها وهي تجلس أمامي..

-أتعلم، لقد جعلتني أخسر رهاني تلك المرة!!

بنظرة طفولية بريئة خرجت من بين ملامحها جعلتني أتناسى كل

شيء متعاطفًا معها ساعيًا لمعرفة ما سبب كل هذا..

-أي رهان هذا الذي تسببت في خسارتك له؟..

-لا شيء.. لقد توقعت فقط أن ترتب منزلك بشكل أكبر وتتجمل من أجل لقائي، فربما يكون اختياري لهذا المكان حافزًا لك... لأي أفكار شيطانية قد أوافقك عليها مستقبلاً.

لم أبدِ أي تعليق على ما قالته، فقط التزمت الصمت، وكأني أنتظر منها ما هو جديد، ولكني في حقيقة الأمر منيّت نفسي بفكرتها المجنونة تلك.. أصابها صمتي بإرباك بسيط، لكنها بدت متماسكة لتبدأ مناورة جديدة معي بأسلوب مغاير، وكأنها تتنقل بين تلك الأقنعة بمنتهى السلاسة والسهولة..

-حسنًا ربما أخطأت التقدير، لكني لا أعتقد أنك ستظل متجمدًا هكذا دون أن تقدم لي ولو شرابًا بسيطًا. أعلم أنك لست من مدمني الكحول لذا سأرضى بأي شيء تقدمه لي..

مرة أخرى لم أبدِ أي تعليق على ما تفوهت به، بل توجهت مباشرة لثلاجة المنزل وأخرجت أحد الدوارق الذي يحوي بداخله عصيرًا طازجًا أعددته خصيصًا لها، أفرغت لها كأسًا منه وكأسًا آخر لي، قبل أن أضعهما على المنضدة الصغيرة التي تتوسط الأريكتين بيننا، وقبل أن أبدأ أنا الحوار، بعدما ارتشفنا بعض رشفات منه:

-حسنًا، لندخل في صلب الموضوع، فأنا للآن لا أرى منكِ أي عمل مطلوب مني. إلا إن كانت زيارتكِ تلك هي للاطمئنان عليّ، أو أنها زيارة شخصية ليس لسيدكِ علم بها..

أبدت على وجهها امتعاض الأطفال مرة أخرى، محاولة أن تعترض على ما أقول، قبل أن تتحدث إليّ من جديد:

-أتعلم، ستجعلني أتخذ موقفًا منك. لكن قلبي الصغير لا يطاوعني لفعل هذا. عامة إن كنت تريد العمل فهذا هو هدفك القادم. وإن كنت لا تريدني فسأجعلك تريدني كيفما أشاء. أما الآن فلنعتبر تلك المقابلة قد انتهت. وعليك أن تتعلم مجددًا كيف تعامل امرأة جميلة مثلي في المرة المقبلة..

أنهت حديثها وأخرجت من حقيبتها "كارت ذاكرة إلكتروني" يحوي مهمتي الجديدة، قبل أن تنهض متوجهة إليّ لتتكئ بيدها على مسند الأريكة التي أجلس عليها منحنية تجاهي مقتربة مني بوجهها ونهديها، أشم عبق عطرها الذي يملأ المكان قبل أن تدنو مني أكثر، تشم هي الأخرى رائحتي لتطبع قبلة مثيرة على وجنتي، لتعود مجددًا لوقفتها المعتدلة تلقي إليّ بكلمات أخيرة قبل أن تودعني راحلة..

-لتعلم أنني لا أعطي فرصًا كثيرة.. وأنني قد واجهت من هم أغلظ منك، لكنهم في النهاية كانوا رهن إشارتي.. وأنت أمامك إحدى نهايتين: إما بين أحضاني، أو أحضان قبر أصنعه لك بنفسي...

فقط ابتسمت لها بكل هدوء، فقد كنت أنتظر منها تلك الكلمات قبل أن تغادر المكان عائدة من حيث أتت. لكنها أشعلت في قلبي نارًا خفية، وألهبت غرائزي تجاهها، بكل مكر ودلال تستميلني لها، فهي تسلك طريقين: إما الترغيب، أو الترهيب. سيدها يُرهب برجاله، ويُرغب بالمال. بينما هي ترغبني بجسدها، فدائمًا يبقى المال والجسد أشد شهوتين قادرتين على إغواء أي إنسان، وبجانبهما شهوة السلطة.

*****

أعدت ما قمت بإخفائه، وسريعًا شرعت في العمل على معرفة الملف الجديد، لكني تخوفت من أن يحمل الكارت الذي أعطتني إياه أي شيء قد يضر بالحاسب الخاص بي، لذا استعنت بالجهاز الآخر أو الاحتياطي لمثل تلك الأمور، لا يحوي أي شيء عن عملي أو أي معلومات عن تلك القصة التي أسبح بين بحورها الآن..

سريعًا تصفحت الملف الوحيد الموجود أمامي، الهدف تلك المرة هو رجل أعمال آخر، لكنه يعمل في قطاع المقاولات، يمتلك مجموعة شركات كبيرة ترى إعلاناتها في كل مكان وموقع. شركة تعمل على إنشاء كبرى المجمعات السكنية الجديدة.. الوصول إليه يعتبر أمرًا صعبًا، فهو يقطن في أحد تلك المجمعات. الحراسة عليه جيدة، لكنها ليست مستحيلة. هذا هو المسكن، أما المكان الثاني فهو العمل. هدفي تلك المرة لديه مؤسسة كبيرة، الدخول إليها أمر معقد للغاية، العاملون بها

أنفسهم لا يمكنهم ذلك إلا من خلال الكود التعريفي الخاص بالعاملين في تلك المجموعة، أو من خلال موعد زيارة محدد مسبقًا. إن التواجد في كلا المكانين يعتبر أمرًا صعبًا، ويمكن الإيقاع بي من خلالهما، لذا توجّب عليّ أن أبحث عن مكان آخر يمكنني فيه أن أنفذ مهمتي تلك، أو أن أدرسهما مجددًا بشكل أكثر تفصيلاً.

لكني على كل حال أرسلت بيانات المهمة إلى سيدي، حتى أحصل على الإذن أولاً لإتمامها. لم يغب الأمر كثيرًا فقد أرسل لي موافقته سريعًا. بل الأعجب أنه مدّني بمعلومة أخرى قد تفيدني من أجل استخدامها في عملية التخلص منه، أتت في نص بسيط تذيل الرسالة التي أبدى فيها موافقته على الأمر..

"إن لم يفعلوا ذلك لكنت قد أوكلتك بتلك المهمة في يوم من الأيام. أعرف مدى خطورتها لكن لديه نقطة ضعف واحدة، بيت زوجته السرية.. كل التوفيق لك".

الآن أصبح لديّ شيء أعمل عليه، بيته السري، بالإضافة لبيانات كاملة بهذا المنزل وكيفية ذهابه له وما إلى ذلك من أمور قد تساعدني في إتمام مهمتي بشكل مثالي. لكن للحظة أخرى عاد الشك يساورني من جديد تجاه سيدي، فهو وبكل بساطة وافق على قتله عكس الآخرين. لم يبدِ كل تلك الحماسة، بل أخبرني أنه قد يوكلني لتلك المهمة لكن ليس الآن. كل التساؤلات في عقلي مجددًا تبحث عنه، هل لديه يد فيما

يحدث لي، أو أنه أحد أطراف تلك الدراما التي أحيا فيها حاليًا، أم أنه أحد مدرائها، أو ربما تكون تلك مصادفة وأنه يقف في جانبي، وما يحدث ما هو إلا توحد في المصالح والأهداف، ولكن بطرق تنفيذ وتوقيتات مختلفة لتصفية أهداف مشتركة. عليّ أن أقنع نفسي بذلك، على الأقل حتى أتمكن من إنهاء الطريق الذي قررت عبوره للنهاية..

قمت من جديد برحلة، دلفت من خلالها عبر أحد الأبواب الخلفية علّني أصل إلى الساحة الخاصة بهدفي. ربما أعرف سببًا يجعل سيدي، ومن يريد التخلص منه، يجتمعان على تصفيته. هدفي هو أخطبوط كبير في عالم المقاولات.. كبرى المناقصات الحكومية، وكبرى المشاريع الاستثمارية يعمل بها.. تخصيص أراضٍ بطرق غير شرعية، شبكة علاقات متحركة في مجال الاستثمار العقاري مع الجهات الحكومية والقطاع الخاص.. تورط في أعمال غير مشروعة في هذا القطاع، إسناد بالأمر المباشر بشكل مشبوه، إسناد بعض الأعمال من الباطن إما منه أو له. أيضًا علمت أنه تورط في سوق السلاح في صفقة مرة منذ زمن دخل فيها على سبيل المجاملة وتحويل سريع لرأس المال..

أما الآن فبدأت أدرس المعلومات الجديدة عن هدفي الجديد، وما آلات إليه. عليّ أن أعمل جيدًا على الحبكة التي سأقوم بها. فكلما زادت صعوبة المهمة كلما زاد قدر التحدي. فأصعب تحدٍ هو تحدي النفس، بينما أفضلها هو تحدي العقل، عندما تتحدى عقلك تنتج أفضل ما

لديك. أن يعمل عقلك وبكل قوة على تنفيذ كل الأمور واستبعاد الأخطاء المحتملة، كل ذلك يجعل العقل يعمل بشكل أفضل. فالكاتب المُجد مثلاً يعمل على إخراج أفضل حبكة لما يقدمه من عمل مكتوب لقرائه، بينما أنا مثله أخرج أفضل حبكة ممكنة لأقدم لقتلاي ميتة طبيعية بدون أي شك فيها. وأعتقد أنني وجدت الميتة التي تليق بهدفي هذا..

مرة أخرى أعود إلى تتبع هدفي، لكني في تلك المرة لديّ معلومة مفيدة بنقطة الضعف أو المكان الذي قد أجده فيه وهو بيت زوجته الثانية.. ما لديّ من معلومات أنها زوجة سرية، هي أيضًا لديها بيت وأسرة أخرى، لكنها أرملة ولديها وضع اجتماعي براق، هي الأخرى تُخفي من أجله تلك الزيجة الجديدة. ما أعرفه أيضًا أنهما لديهما مكان سري للقاء، لكن هذا المكان لم يكن سريًا على من أمدني بتلك المعلومات، فدائمًا هناك من يمتلك المعرفة عن أدق تفاصيلك ويستخدمها في الوقت المناسب بالنسبة له، وكذلك أنت تمارس نفس الدور على غيرك. أما هدفي الحالي فيذهب إلى لقائه السري في أوقات مغايرة، لا يوجد لديه موعد محدد لهذا اللقاء، فيبدو أنهما ينتهزان أي فرصة سانحة لكليهما، يمكنهما فيها تدبير أمورهما من أجل تلك اللحظات التي يختلسانها من عمر الزمن بين أحضان بعضهما البعض. ما لاحظته أيضًا أنه لا يتحرك منفردًا إلا إن كان ذاهبًا للقياها، فيبدو أن حرسه الخاص أيضًا لا يعلمون شيئًا عن هذا الأمر السري للغاية.

استمرت مراقبتي له، وما وجدته دائمًا أنها تأتي بعده في كل مرة بوقت قد يكون كافيًا لي لأنجز مهمتي، فبيدو أنه من يهتم بالأجواء الشاعرية في لقائهما هذا..

قررت أخيرًا أن يكون وقت التنفيذ في لقائهما التالي، لكن يجب عليّ أن أكون سريعًا في عملي فلن تكون لي حرية التحرك مثل المرة السابقة. طال انتظاري تلك المرة، حتى حان موعد اللقاء بينهما، لكن الانتظار هو صديق آخر من بين المقربين لي. علمت بذهابه إلى عش حبهما هذا والذي يقع منفردًا في أحد الأحياء الراقية الهادئة في أطراف العاصمة. هدفي اعتاد أن يسلك طريقًا محددًا في كل زيارة إلى هذا المكان، لكني بادرت بأخذ طريق آخر يكون أكثر سرعة بالنسبة لي، فقد سعيت في فترات بعادهما أن أقدّر أقرب الطرق لي في تلك المهمة بخلاف طريقه المعتاد، علاوة على تطفل حميم مني لمعرفة ما يوجد بداخل المكان. يبدو أنهما يحافظان على سرية لقائهما لدرجة عدم وجود أي كاميرات أو أجهزة إنذار بالداخل، حتى لا تلتقط إحداها لقاءً أو صورة لهما قد تكلفهما الكثير فيما بعد...

كنت في موقعي قبل وصول هدفي إلى المكان. أعلم أين أختبئ إن جد أي جديد في الأمر، وجدته قد أتى، وكما توقعت فهو المنوط بالأجواء الشاعرية لتلك المقابلة، شرع في تجهيزها. وانتظرت أن يتجرد من سلاحه الذي يلازمه دائمًا، حتى باغته بدخولي مستحوذًا على سلاحه،

شاهرًا سلاحي في وجهه الذي اعتلته تلك الدهشة والامتعاض اللذان يسيطران على جميع قتلاي، والسؤال المعتاد الذي أتلقاه لكي أكشف عن هويتي وما سر قدومي إلى هنا، وهل تعلم من أنا، وكل تلك الديباجة التي لا تنتهي..

-سيدي رجاءً الوضع حساس، وأنا هنا لمساعدتك.. هل تعرف أيًا من هؤلاء الأشخاص؟

كانت كلماتي حازمة وقاطعة بشكل صادم، في حين ألقيت إليه بقائمة أهدافي السابقين، والتي تتكون من ثلاثة أفراد وهو يُعد رابعهم.. بادر في جمود منه محاولاً استجماع قواه وتركيزه، بينما تحرك بشكل تلقائي يفرز تلك القائمة الصغيرة قبل أن يتحدث إليّ:

-هؤلاء الأشخاص قد ماتوا في الآونة الأخيرة، أعرفهم جيدًا فهم شخصيات عامة معروفة للجميع..

-حسنًا سيدي أنا أتحدث عن علاقة شخصية تجمعك بأي منهم وليس مجرد معرفة عامة بأي منهم..

-لا دخل لك بهذا وأنت لم تجبني على سؤال من أنت؟..

-سيدى رجاءً لا تضيّع وقتنا، أعلم أن هناك من سيأتي إلى هنا.. ولكن ليس مَن تنتظر، بل هناك مَن سيأتي لينهي حياتك وأنا أحاول مساعدتك..

صمت لبرهة لكي يفكر فيما أخبرته به، قبل أن يعود مجددًا لمحادثتي، لكني قطعت عليه أي فرصة للمراوغة بأسلوب مصطنع مني في نجدته:

-سيدي رجاءً لا يوجد لدينا وقت للمراوغة، فإن لم تساعدني سيأتي من يُنهي حياتنا نحن الاثنين..

بدا الارتباك والتوتر عليه بعض الشيء، قبل أن يتحدث بنفاد صبر باحثًا عن أي شيء ينجيه من الهلاك طارحًا بكل أوراق لعبته أمامي:

-حسنًا الأمر بسيط، الشخص الثاني في قائمتك تورطت معه في صفقة أسلحة غير شرعية، لكنها على سبيل مجاملة لبعض معارفي.. لا أكثر من ذلك.

بدت تلك معلومة جديدة، كنت أعلم أنه تورط في صفقة أسلحة، لكن الجديد أنها مع الهدف الثاني في قائمتي، لكني حاولت أن أواصل الضغط وأن أخرج أي شيء جديد من جعبته:

-سيدي رجاءً تأكد، هل يوجد أي شيء آخر؟

-لا صدقني لا يوجد أي شيء آخر.. فقط تلك الشراكة الملعونة، لقد ولّت منذ سنوات طويلة مضت، لكن لعنتها ما زالت تطاردني، فأنا رجل مشهور في مجال الاستثمار العقاري ولم يكن ينبغي عليّ أن أتورط في تلك المشكلة..

-حسنًا سيدي، هل يوجد أي شيء آخر تخفيه عني؟ هل من أعداء

محتملين لمثل تلك الفعلة؟

-صدقني لا، كلها منافسات في سوق العمل لا تصل لتلك الدرجة... قد يكون الضرب في صفقة أو مناقصة أو رشوة ما، لكن ليس القتل..

-حسنًا سيدي، أصدقك، رجاءً تناول هذا..

أنهيت جملتي قبل أن ألقي إليه بشريط دواء فيه أربع حبوب وأحد مشروبات الطاقة حتى يبتلع به الدواء قبل أن ينظر لي بذهول:

-ما هذا.. ماذا تريد مني؟

-تلك حبوب منشطة جنسيًا يا سيدي.

-أعلم، لكن تلك الكمية مع مشروب الطاقة هذا ستودي بحياتي.

-لا يا سيدي صدقني لن يحدث، إنها ليست كما تظن. تلك ستعطي لك عَرَضًا جانبيًا بسيطًا، سأنقلك على إثره لمشفى خاص أعرفه، ستكون هناك تحت حراسة مشددة. إننا لا نعمل منفردين، مَن هم مثلنا يسعون لحماية رجال الأعمال المهمين في الدولة، فحياتك مهمة لدينا..

-هل أنت من جهة..

-سيادية يا سيدي، رجاء لا يوجد لدينا وقت..

نظر الرجل لي مضطربًا قبل أن أجبره على تناول تلك الحبوب الأربعة، والتي لم تكن إلا منشطات جنسية قوية وفتاكة مع مشروب

الطاقة، لتبدأ النهاية بانفجار في الأمعاء أدى إلى نزيف داخلي حاد مع ارتفاع مفاجئ في ضغط الدم، ليسقط هدفي صريعًا بعد دقائق معدودة ترجاني فيها أن أمد إليه يد المساعدة، لكنني كنت على عجل من أمري لأنهي تلك المهمة وأتركه مغادرًا في الوقت المناسب لأبسط إليه يد المساعدة التي جعلتني أتأكد تمامًا من وفاته. لتأتي زوجته الثانية بعد خروجي بثوانٍ فيعلو صوت صراخها لصدمتها من وفاته إثر تناوله كمية كبيرة من الحبوب المنشطة ومشروب الطاقة، علّه لم يعد قادرًا على تلبية طلباتها فسعى لتلك الوسيلة التي دمرت حياته بالكامل..

*****

الفصل الخامس

يبدو أن وتيرة الأحداث لم تكن بالهدوء المأمول تلك المرة، بل أتت المهمة الجديدة سريعًا. في اليوم التالي لعودتي لمقر إقامتي وجدت هاتفي يعلن عن اتصال من مجهول أجبت عليه لتطرب أذناي بصوت فاتنتي اللعينة. فبدأت أشعر أنها كاللعنة التي أصابتني، يراودني تجاهها شعوران الأول بالانتقام منها والثاني الفوز بها، لا أعلم من أين تراودني تلك الأفكار، لكني نفضتها سريعًا لكي أعود لإتمام هذا الاتصال..

-أعتقد أنك لم تشتاق لي بالشكل الكافي، فلقاؤنا الماضي لم يكن بعيدًا.. لكني اشتقت للقياك.

-وهل تحدثيني من أجل هذا فقط، أم أن لديكِ عملاً موكلاً إليّ إتمامه؟..

-مرة أخرى أخبرك أن صبري لن يطول عليك.. حسننًا إنني بانتظارك في الأسفل، سنتحرك الآن..

-نتحرك !!.. إلى أين؟..

-هيا لا تجادلني كثيرًا، إنني بانتظارك، إنها مهمتك الجديدة، أمامك خمس دقائق لتحزم ما يلزم من أمتعتك..

أنهت الاتصال بمجرد إنهائها لكلماتها، شعرت أنني قد أشعلت النيران بداخلها مرة أخرى، لكن ما لفت انتباهي الآن أنها تريد حزم أمتعتي لاصطحابي معها لإتمام المهمة التالية، يبدو أن هناك تغييرًا على طريقة العمل، فالمعتاد أن تخبرني بالمهمة، أما الآن ستصطحبني. لم أفكر كثيرًا، أخفيت ما أريد إخفاءه وأخذت ما يلزمني، لكن تأخرت عن الدقائق الخمس لأجدها تقف أمام سيارتها بالأسفل بمفردها تنتظرني..

-عجبًا، أين الجيش الجرار الذي تصطحبينه خلفكِ في كل مرة...

-لقد تأخرت عن الدقائق الخمس..

-وهل تعتقدي أنها مدة كافية حتى استعد للقائك..

-المهمة في تلك المرة مختلفة سأرافقك فيها، أو بمعنى أصح سأساعدك.. أما الجيش الجرار فلا حاجة لي به لكي أحمي نفسي منك

-إذًا يبدو أنني مَن يجب أن أحمي نفسي..

-هيا لن نتحدث طويلاً علينا أن نبدأ عملنا..

*****

استقلينا سيارتها الرياضية في طريقنا إلى مكان لا أعلمه بعدما لفت انتباهي للمرة الأولى زيها الذي يقترب من زي شاطئ يعري ساقها التي لفتت انتباهي بدون إرادتي، لأجدها تخرجني من عالمي هذا:

-هل تعجبك ساقي إلى تلك الدرجة؟..

-ها.. أنا فقط أراقب تنقلها الرشيق بين محركات السيارة..

-مرة أخرى أخبرك أنك كاذب سيئ.. عامة لقد أحضرت لك أيضًا ملابس شاطئية أتمنى أن يناسبك قياسها.

-لماذا؟ وإلى أين وجهتنا؟..

أشارت لي أن أتفحص الدرج القابع أمامي في تابلوه السيارة لأجد ملفًا اعتدت على رؤية مثله، أخرجته لأمسك به منتظرًا الوقت المناسب لتفحصه.

-عليك أن تتفحصه الآن لأننا سنتخلص منه قبل أن نصل إلى وجهتنا..

-حسنًا.. لكن هل سننفذ الآن.. أنا لست معتادًا على ذلك، يجب أن أدرس مهمتي جيدًا..

-حسنًا، أمامك الوقت الكافي حتى نصل لترى ما تحويه تلك الأوراق..

لم أجادلها كثيرًا، بل بدأت أتفحص تلك الأوراق.. هدفي تلك المرة رجل أمن سابق تقاعد منذ فترة طويلة، عمل في شركات أمنية خاصة ومنظمات أمنية دولية متعددة لفترات طويلة، لكنه تقاعد عن هذا العمل منذ فترة ليست بالبعيدة. علمت من تلك الملفات إلى أين سنذهب، فهو يقطن بإحدى المدن الساحلية في مجمع سكني مؤمن، يقطن به منذ فترة.. علمت أن المهمة ستنفذ هناك. وجدت في نهاية

الملف بطاقتيّ هوية واحدة لي والأخرى لمُقلتي، من خلالهما عرفت أننا سنذهب لتلك المدينة كزوجين كما يوجد في الأوراق..

-زوجتي يبدو أن طموحكِ قد بلغ أشده..

-بل أنت من منحك القدر فرصة لا تُعوّض..

-لكن لماذا تأتين معي، يمكنني أن أنفذ العمل بمفردي..

-ليست تلك المرة.. أنت تحتاج لغطاء لك.. وأنا لم أرَ أفضل مني للقيام بتلك المهمة..

-حسنًا، ما هي خططكِ إذن؟..

-ليس الآن، لنصل أولاً، ولنقضي حياتنا كزوجين سعيدين في أول أيام المصيف وبعدها سأخبرك بكل شيء..

*****

وصلنا إلى هدفنا، تجاوزنا البوابات بهويتنا الجديدة، لكن قبل الوصول وقفنا في إحدى الاستراحات لأقوم باستبدال ملابسي، وكذلك بدلنا مقاعدنا في السيارة لأتولى أنا القيادة. أخبرتني بوجود حجز في أحد الشاليهات في هذا المجمع لمدة أسبوع باسمي الجديد وهي مرافقتي كعروسي الحديثة في شهر عسلنا..

دلفنا إلى الشاليه المحجوز باسمنا، بدأنا في إفراغ أمتعتنا البسيطة

وترتيبها في المكان، بعدها سمعت طرقات على الباب لتخبرني بأنها قد طلبت بعض الحاجيات التي ستلزمنا كالطعام وما شابه، لتذهب هي وتستقبل القادم وتتسلم ما طلبته، بعدها وجدتها تناديني لتخرج من بين ثنايا تلك الطلبات سلاحًا قد أخفي بمنتهى البراعة، وجدتها تناولني إياه..

-ما هذا؟

-ألا تعلمه، إنه وسيلة قتل..

-ولكنني لا أستعمل مثل تلك الأشياء لإتمام عملياتي، كما أنني أحظى بخاصتي من تلك الأسلحة، لو أردت لأصطحبتها معي..

-تلك المرة ستكون هذه هي طريقتك في تنفيذ المهمة، لدينا رسالة يجب أن تصل..

-يبدو أنكِ لا تتمتعين بأي من أنواع الحكمة..

-الحكمة!!

-نعم.. فالحكمة ليست في إسالة الدماء.. بل في وفاة بدون آثار تتم بمنتهى الدهاء..

-أعلم هذا، وأعلم أن تلك هي طريقتك في تنفيذ تلك المهام.. لكن رؤسائي أرادوا أن تتم الأمور هذه المرة بطريقة أخرى.

-رؤساؤكِ؟ يبدو أن سيدكِ هذا ما هو إلا مرءوسًا مثلكِ؟..

-لا علاقة لك بهذا، عليك أن تتم الأمر فقط.. الآن يا عزيزي علينا أن نقضي إجازتنا بمنتهى السعادة..

وجدتها تقترب مني بمنتهى الغنج وهي تُنهي كلماتها محاولة إثارتي. بكل صدق أثارت كل ما فيّ من مشاعر. لكنني سعيت جاهدًا لأبتعد عن مراودتها لي لأذهب للحديقة الملحقة بمسكننا، لأجدها تلاحقني بمنتهى الضيق قبل أن تعاود الحديث مجددًا:

-حسنًا، لتعلم أن صبري عليك لن يطول، يومًا ما سأحظى بك حتى لو أرديتك صريعًا..

-ولتعلمي أنكِ يومًا ما ستنالين مرادك.. لكن عندما تثيرين غرائزي..

-أنت وقح..

-وأنتِ تبدين بحالة مزرية..

شقت كلماتي طريقها إلى هدفها مباشرة، أشعلت الغضب بداخلها، وبدا هذا جليًا على تعبيرات وجهها، قبل أن تتمالك نفسها وتعاود الحديث مجددًا:

-حسنًا، عليّ أن أريك المكان، استعد لنأخذ جولتنا، لكن عليك أن تبدو كزوج سيعد مع امرأة فاتنة مثلي..

*****

أخذنا جولتنا في المكان بشكل طبيعي للغاية.. حقيقة لم أكن أمثل دوري كزوج وزوجته، بل كنت أتمتع بقربها في داخلي. مثلما أبدي على محياي، لكن في كل حوار يدور بيننا كنت أبدو عكس ذلك، ليزداد حنقها تجاهي، إلى أن وصلنا لمسكن هدفي.. الموقع من الخارج مشابه للشاليه الذي نقطن به، لأجدها تبدأ حديثها معي:

-هذا هو موقع عملك، من الداخل ستجده مشابهًا تمامًا لعش حبنا الحالي..

-ومن الخارج، ما الخلاف بين منطقتنا وتلك المنطقة؟..

-بجوارنا توجد حياة صاخبة، بينما هنا أغلب الملاك لا يقطنون في عقاراتهم في الأوقات الحالية..

-يبدو أنكِ لم تفهمي سؤالي... ما هو مستوى الصعوبة لإتمام تلك المهمة، والذي يستلزم وجودكِ معي، بخلاف دخولنا على أننا عشيقان قد جمعهما عش صغير ليعلنا فيه عن تتويج حبهما هذا بزواج مبارك؟..

-يبدو أن مقدار سخريتك لا مثيل له.. لكن الصعوبة هنا في المراقبة كل شبر في الموقع تغطيه الكاميرات ولا يمكنك التسلل بدون أن يتم كشف أمرك..

-وهل ستتسللين أنتِ بدلاً مني، أم ستأتين معي وقتها حتى لا نثير الشبهات سويًا؟..

-حقًا أنت متغطرس لأقصى درجة.. وأعتقد أنني كنت مخطئة عندما اقترحت عليهم تواجدي لمساعدتك.. كان يجب أن أتركك تتم عملك بمفردك..

-وهل أتيتِ لتساعديني، أم لتظفري بي وبقلبي في تلك المهمة؟..

-لن أجاريك في تلك المهزلة، لكن إليك دوري.. أنا سأتسلل إلى أنظمة المراقبة الموجودة في تلك القرية..

-وهل الأمر بتلك السهولة؟..

-لا، ولكن توجد وحدات تحكم في تلك الكاميرات تصل بها إلى وحدت التحكم الرئيسية، إحدى تلك الوحدات توجد بجوار العقار الذي نقطن به.

-وهل سيُسمح لنا بسهولة أن نتسلل لتلك الوحدة؟..

-لقد تم التسلل بالفعل، أرسلنا مسبقًا مَن قام بالأمر ليمكنني أن أتسلل إليها، وقتها سأقوم بالتحكم باللوحات كلها ومنها سأخفيك عن أعين الجميع..

*****

لم أركن إلى حديثها أبدًا، فربما يكون كل هذا ما هو إلا فخ مصنوع لي من أجل الإيقاع بي، وتكون تلك هي المهمة الأخيرة المطلوبة مني،

وقد وجب وضعي ككبش فداء. لذا عملت جاهدًا على دراسة التصاميم الداخلية للقرية وكيف يمكنني أن أتسلل بدون أن يلحظني أحد حتى هي. لم أعلم كم استغرقني الوقت في عملي هذا، بينما هي تركتني أعمل بناءً على رغبتي التي ألححت عليها، إلى أن شعرت بخطاها قادمة تجاهي لأرفع ناظري أمامي...

لم أرَ إلا تلك السيقان المثيرة في نظري. دائمًا هي عارية إلا من هوت شورت جينس قصير للغاية، ترتدي فوقه شيئًا هو أقرب للاشيء، لا يخفي إلا جزءًا ضئيلاً من صدرها، وبعضًا من أسفلها معلنًا جسمها جليًا معريًا أسفله. وجدت ابتسامتها الفاتنة كالعادة تنظر إليّ بانتصار، فقد علمت أنها قد أثارت كامل غرائزي، قبل أن تحدثني بغنج مصطنع تراودني به عن نفسي:

-ألن نخرج قليلاً؟.. فمن المفترض أننا زوجان سعيدان، ويجب أن نمضي معًا أوقاتًا سعيدة.

-ليس لديّ مانع في هذا فلن أحظى كل يوم بامرأة فاتنة مثلك أكون برفقتها.

-هل أعتبر هذا إطراءً منك تجاهي؟..

-ربما.. لكن لنكون أكثر تحديدًا هو إطراء تجاه أنوثتكِ الفجة..

أطلقت ضحكة صاخبة ملأت أرجاء المكان حولنا، وحركت معها

قلبي من موضعه. لم أستغرق وقتًا طويلاً لأبدل ملابسي لأستعد للخروج معها. تعلقت بذراعي تاركة خلفها كل غموضها، لتكون أنثى فقط بصحبة رجلها.. حديثنا كان طويلاً، تحدثنا في أمور عديدة كلها عن الرجل والمرأة، ما تعشقه في الرجال وما أحبه في الأنثى، تحدثنا في الفن والثقافة والرياضة، كلها أحاديث مختلفة تمامًا عن طبيعة عملنا. كل منا يرغب بأن يبعد تمامًا عن سير عملنا، رقصنا واستمتعنا، شعرت بنظرات الجميع تجاهها، فلقد تجلّت كأكثر النساء بهجة وجمالاً في هذا اليوم. أكثرهن انطلاقًا وحيوية، وكنت أنا أكثر الرجال سعادة بوجودي معها، رغم حنقي الشديد عليها ورغبتي في الانتقام منها، لكن بكل تأكيد ليس في ظل تلك اللحظات الرائعة التي نسيت أو تناسيت خلالها أي شيء يمت للانتقام بصلة..

أنهينا سهرتنا لنعود لمسكننا، وجدتها تخبرني بأن ليلتنا لم تنتهِ بعد. جلسنا سويًا، عرضت عليّ أن أحتسي معها بعض الخمور، لكنني رفضتها حفاظًا على لياقتي، فبدأت هي بالإحتساء، بينما أعدت لي عصيرًا طازجًا. استمرت في الحديث عن رغباتها في الحياة وما تود أن تفعله حين تقرر التقاعد من عملها. استمرت في الشرب أكثر وأكثر بينما أنا من يسكر من خمر عينيها التي أغرقتني في بحور هواها. وجدتها تقترب مني لتطبع قبلة على إحدى وجنتيّ، فبادلتها بأخرى لتلتقي شفاهنا بقبلة لا مثيل لها، لم أشعر بمثلها من قبل. عاد عقلي

للعمل فجأة فنفضتها بعيدًا عني..

-ماذا.. ألم تتغير بعد؟

-من مصلحة العمل ألا يحدث هذا، لنتركه بعد أن أتمّ المهمة..

لم تستمع لكلامي بل انقضت عليّ تقبل شفتاي بمنتهى القوة، فلم أجد نفسي إلا أعتصرها بين أحضاني أقبلها بمنتهى القوة، لأجد نفسي في النهاية ملقى بجوارها بعد أن أتممنا متعتنا لنغرق سويًا في نوم طويل لم نستفق منه إلا مع أشعة الشمس تداعب أعيننا، فوجدتها تقبلني مجددًا قبل أن تبدأ بحديثها:

-أكنت تريد الهروب مني؟.. قلت لك من قبل أنا لا أترك ما أريده.

قالتها لتنقض عليّ مجددًا، لكنني نفضتها بقوة محذرًا إياها تلك المرة أن هذا لن يتكرر مجددًا إلا إذا أتممنا مهتمنا، رغم أنني كنت أرغب فيها أكثر من ذى قبل بعد أن تذوقت طعمها..

*****

أتى موعد التنفيذ الذي حددته لإتمام تلك المهمة، فقد وافقت مسبقًا أن تكون هي بصحبتي، لكنني لم أخبرها في أي توقيت سأقوم بتنفيذ عملي، لم أرَ أي مفاجأة على وجهها، لكنها طلبت مني أن أنهي مهمتي على أكمل وجه، وأن نستعد أنا وهي للاحتفال بشكل صاخب. فهمت ما ترمي إليه من تلك الكلمات، لكني لم أشتت تركيزي، مهمتي مختلفة،

نعم هي عملية قتل، ولكن هناك من يراقبني، والمطلوب هو قتل فاضح بطلق ناري يستقر في منتصف جبهة ضحيتي الجديدة..

تسللت حسب الخطة الموضوعة من قِبلي، فقد عكفت وبشدة على دراسة كل واجهات الكاميرات في المكان ومحيط تغطيتها كاملاً، كما أنني شاهدت عملها فعليًا. لم تكن العملية سهلة، لكنها لم تكن مستحيلة، فدائمًا ما توجد ثغرات في أي نظام أمني مهما بلغت دقته..

للحظات راودني شعورها وهي تبحث عني على الشاشات ولا تجدني أمامها، لكنني وجهت تركيزي تمامًا على مهمتي، تأكدت مجددًا من سلاحي ومن كاتم الصوت الذي سيساعدني على ألا يُفتضح أمري. تسللت إلى الداخل، تحركت بمنتهى الهدوء حتى شعرت أن أناملي لا تلامس الأرض، لكنني تعرضت لصدمتي الكبرى عندما خطوت أولى خطواتي داخل بهو المنزل لأجد هدفي مواجهًا لي على أريكته يتوسط المكان شاهرًا سلاحه في وجهي مبتسمًا وكأنما يعرف بموعد قدومي مشيرًا إليّ بالانضمام إليه..

*****

لحظات توقف الزمن فيها أمامي، بينما عقلي لم يتوقف، بدأ يحسب كل شيء جيئة وذهابًا في أركان المكان، عيناي تدرسان كل موضع به للهرب السريع، قد يجعل الأمر كله يفتضح، أو قد يعرضني للموت. ويا

لسخرية القدر أنا من يُرسل الموت للبرية على وشك أن يصيبني الآن، لم يخرجني من هذا الصمت إلا صوته الأجش يحدثني بمنتهى الهدوء والروية:

-لقد انتظرتك طويلاً.. وسعدت برؤياك عندما أتيت هنا..

زاد الارتباك بداخلي، لم يعد يُجدي معي أي نوع من التدريبات والتمارين التي أتقنها من أجل ضبط النفس، ومن المؤكد أن كل هذا قد بدا جليًا على وجهي، لكني سعيت للولوج من جديد إلى أركان اللعبة متماسكًا قدر الإمكان لأتبادل معه الحديث:

-أتعلم مَن أنا؟.. وتعلم أنني قادم لك؟..

-نعم، بل أعلم عنك أكثر مما تتخيل.. فأنا ببساطة من وشيت بك..

هبطت كلماته تلك على سمعي وكأنها صاعقة من السماء قد ضربت كل أركاني، فالرجل القابع أمامي لا يعرف من أنا فحسب، بل إنه قد وشي بي، لقد توصلت لأول الخيط، إذًا لا يجب عليّ قتله إلا عندما أعرف منه كل شيء، بعدها سأنتقم منه، لكنه مجددًا يخرجني من كل تلك الأفكار متحكمًا بدفة الحوار بيننا:

-أعلم ما تشعر به الآن... لكن اسمعني رجاءً، عليك أن تنهي مهامك كاملة، ولتتوخى الحذر، وفي النهاية لتنتقم لي ولك..

-ولماذا أنتقم لك، بل سأنتقم منك أولاً..

-لا يوجد أمامنا وقت، عليك ألا تغيب في أداء مهمتك، هناك من يتبعك.. اصغ إليّ جيدًا، لقد كنت أنا جزءًا منهم وجزءًا من فريق عملك في نفس الوقت، أنا من رشحتك لهم، منذ سنوات عملت معهم كثيرًا، لكنك لم تكن تعلم.. لكن في الآونة الأخيرة اختلف كل شيء وجعلوك تعمل بتلك الطريقة، لكنني اعترضت كثيرًا على ذلك، حاولت الحفاظ على نفسي منهم إلى أن قادوك إلى هنا لتقوم بقتلي..

-أولاً يجب أن أعرف مَن هؤلاء؟ ومَن تلك التي ترافقني الآن؟ وفوق كل هذا، مَن أنت؟ وماذا يريدون مني تحديدًا؟..

-لا يمكنني إخبارك بأي شيء الآن، سأدعك تصل بمفردك، عدني أن تأخذ بالثأر لكلينا..

أنهى كلماته تلك ثم وجّه سلاحه إلى رأسه ليعلن عن خروج رصاصة قد أقسمت على أن تعبر كامل جمجمته وكأنها تعمل على قياس قطرها قبل أن تخرج سريعًا من الجانب الآخر.. لم يكن أمامي أي وقت، فقط تملكني الذعر وأنا أخرج من المكان، سعيت للحفاظ على نفسي قدر الإمكان بعيدًا عن أعين المراقبة، أو ليت تلك اللعينة تقوم بعملها الآن لإخفائي عن الأنظار..

*****

وصلت إليها موتورًا، لأجدها تنظر إليّ ساخرة من مظهري الذي بدا

جليًا على وجهي، فلم أكن أستطيع تمالك نفسي أكثر عندما دلفت إلى المنزل، لأصدمها بما حدث وأن أصرخ بها بمنتهى العصبية مفرغًا كل شحنة الغضب بداخلي في وجهها:

-لقد كان يعلم بقدومي.. لقد انتحر..

-ماذا تقول؟..

-أقول لكِ إنه قد انتحر، وأنه علم بقدومي إلى هنا.. أخبرني أنه الواشي.. وقتل نفسه لهذا، ويعلم ما نقوم به، وماذا تريدون أنتم مني، لم يعد لديّ أي قدرة على الاحتمال أو المراوغة، اليوم كان من الممكن أن ألقى حتفي أنا وأنتِ وأن يُكشف كل ما نقوم به..

أربكتها كلماتي قليلاً، بالإضافة لانفجار الغضب الكامن بداخلي أمامها. فبدا هذا جليًا على محياها قبل أن تتركني قليلاً لتجري مكاملة بعيدًا عن مسامعي لتعود إليّ متلهفة تلملم حاجياتها موجهة حديثها تجاهي:

-عليك أن تحزم أمتعتك، سنغادر الآن قبل أن ينكشف أي شيء..

-هل تدرين ما تتفوهين به؟.. مجرد رحيلنا وانكشاف مقتله سيثير الشكوك حولنا وستلاحقنا كافة جهات الأمن.. وأنا يكفيني ما أنا متورط به معكم..

نظرت إليّ بعجالة تسعى لتبث بعض الاطمئنان بداخلي:

-لا تقلق، فنحن من الأساس لم نأتِ إلى هنا لينكشف أمرنا...

-ماذا تقولين؟ إن هذا ليس وقت مداعباتكِ السخيفة تلك..

-بل لا وقت لدينا لحديثك وثرثرتك تلك، لتحزم أمتعتك حتى نرحل من هنا في الحال..

-لن أتحرك حتى أفهم ما يحدث..

-إذًا فلتظل هنا، وتنتظر إلقاء القبض عليك، هذا إن لم ننهِ نحن حياتك أولاً.. لنرحل الآن وبعد أن ننتهي من هذا الموقف سأخبرك بكل شيء من الممكن أن تعرفه..

بدت كلماتها أكثر منطقية مني، فيبدو أنها تعلم جيدًا ماذا تفعل وقت الأزمات، بينما أنا من كثرة الصَدمات التي تلقيتها اليوم أصبحت أتصرف بعصبية كبيرة دون أي تركيز مني...

*****

الحقيقة الأولى

نعم لنقل إنني مطالب بالبحث عن عدد من الحقائق الهامة حتى أتم انتقامي بسلام، أولها مَن وشي بي، وقد تحقق ذلك، فتلك هي الحقيقة الأولى في رحلة البحث لديّ. تبقى لي عدة حقائق أخرى عليّ معرفتها. فمثلاً: لمن وشي بي؟ ولماذا يريدون قتل هؤلاء الناس؟ وأين هم؟ لأتم بعدها انتقامي بشكل كامل..

حددت موعدًا مع سيدي على وجه السرعة، لم أخبره بأي شيء، فقط أخبرته أن هناك تطورات جديدة قد طرأت على سطح الأحداث علينا مناقشتها، لكنني بمجرد دخولي إليه وجدته يباغتني مبكرًا بسؤال عن القتيل الأخير وهل لي علاقة به؟..

-أولاً هو من وشي بي.. أخبرني قبل أن ينتحر أنه مَن فعل ذلك.. وأيضًا طلب مني أن انتقم لي وله..

ردي كان أكثر مباغتة له، ففكر لثوانٍ قليلة مشيرًا لي بالجلوس أمامه فقد بدأ الحوار قبلها بقوة دون أن يقدم واجب الضيافة المعتاد منه، ثم عاود الحديث من جديد وبكل اهتمام بعد أن أثارت كلماتي شغف الفضول بداخله:

-ماذا تقصد بأنه انتحر؟.. ألم تفعل أنت هذا؟!!

-في الواقع الأمر معقد تمامًا يا سيدي. مهمتي كانت سريعة للغاية، رافقتني فيها تلك الملعونة، توجّب عليّ قتله برصاصة في منتصف جبهته، هكذا أرادوا إتمام المهمة. لكن عندما ذهبت إليه وجدته بانتظاري، أخبرني بأنه الواشي قبل أن يقدم على الانتحار..

سردت له ما حدث بكامل تفاصيله، وضعت كل شكوكي ومخاوفي أمامه، وأخبرته أننا الآن قد قمنا بكشف الواشي ومَن الذي اخترقنا من الداخل، وأن علينا أن نعرف كيف قام باختراقنا، لأجده يتحلى بكل هدوء ويخبرني بكل ما لديه، أو لنقل كل ما يمكنه إخباري به:

-حسنًا، الآن علمت لماذا أرادوا إتمام تلك المهمة سريعًا.. لو كنت أخبرتني بها لمنعتك من إتمامها.. هدفك هذا لم يكن مجرد رجل أمن سابق فقط، ليس رجلاً عاديًا، بل إنه أحد مؤسسي منظومتنا تلك، لقد ظل أحد الكبار، لكنه تقاعد منذ وقت ليس بالطويل..

أشعل سيجاره الذي يلازمه في حالات الانتشاء أو التوتر، وفي اللحظات الحالية لم يدل إلا على توتره، ثم عاود إكمال حديثة من جديد:

- نعم تقاعد، لكن ليس بالشكل الكامل، فلقد بقي على علم بكامل الأمور، بشكل أو بآخر، فما زال له رجاله في الداخل. ما علمناه أنه تورط في العمل مع عدد من المنظمات الخارجية، مما أدى لإبعاده تمامًا عن الصورة، لكن لا يصل الأمر للسماح بقتله، فهو يبقى أحد

الرموز والأستاذة الذين نلجأ إليهم في أوقات الشدة. وللأمانة كنت أفكر أن ألجأ إليه في أمرك هذا لو كانت الأمور تعقدت أكثر، لكنها تعقدت وصولاً لقتله..

-إذًا ما العمل يا سيدي؟..

-عليك أن تختفي قليلاً. وأعتقد أنهم سيركنون للهدوء بعض الشيء.. ودع الأمر لي، يجب أن أجري بعض الاتصالات، لكن الآن دائرة بحثنا أصبحت مقصورة على دائرة اتصالاته هو فقط، لكنها ليست بالدائرة البسيطة على كل حال...

*****

مرت عدة أيام شعرت فيها وكأن الدهر بأكمله يشاركني فيها.. لم يحدث أي جديد، الاتصالات انقطعت من كلا الجانبين، فاتنتي تنتظر الجديد من التعليمات لتمدني به، بينما رئيسي يبحث عن المعلومات اللازمة لإمدادي بها. الآن لدينا العضو الذي اخترق تنظيمنا وعلى الجانب الآخر نسعى لمعرفة المرسل إليه تلك المعلومات. حاولت الولوج إلى الساحة الخلفية الخاصة بهدفي السابق، لكن لنقل إن كل الأبواب المؤدية إليها كانت مغلقة، وما أمكن العبور من خلاله لم يكن يُفضي إلا للسراب، فكيف يمكنك أن تخترق ساحة لشخص كان من بين صناع كل الساحات..

لم أهدأ إلى أن وجدت رسالة جديدة وصلت من سيدي على البريد الخاص بي. كل شيء بدا معقدًا، لكن التعقيدات بدأت تقل شيئًا فشيئًا أمامنا، علينا أن نلعب لعبة الاحتمالات والإقصاء، هنا بدأنا نبحث عن دائرة تعامل الواشي، وهي ليست بالقليلة، يوجد منها الداخلي والخارجي..

لكن على الجانب الآخر سنلعب بطريقة أخرى يمكنها أن تسهل عليك الاحتمالات، لنبحث عن الطرف المشترك. أهدافي السابقة ومدى تشابكها مع تلك الدوائر التي يرتبط بها. حسنًا، داخليًا كافة الدوائر ترتبط بأهدافي، لكنها جميعًا لا تستطيع فعل ذلك إلا بإذن سيدي ورفاقه، أو على الأقل علمهم بالأمر. لكن لنفترض أن تلك الدوائر قامت بالأمر منفردة بدون أمر السادة، أو يتم التنفيذ بغطاء من أحدهم لا يريد أن يبدو جليًا في الصورة، وإن تم الشك بقربه منها سيكون النفي هو الجواب. بينما خارجيًا عدة دوائر مرتبطة بأهدافي تلك أو ببعضها، وعلينا أن نضع في الاعتبار ألا يكون هذا الارتباط معلنًا، فربما يكون بشكل سري ومجهول على من أتى بتلك المعلومات لي..

يتبقى الضلع الثالث في هذا المثلث لتضييق خانة الاحتمالات، وهي فاتنتي التي تلعب معي بشكل مباشر. دائرة عملها الخارجي ترتبط بأربعة تنظيمات من الموجودة أمامي والتي عمل معها الواشي أيضًا، هناك ارتباط مباشر أو غير مباشر بأهدافي السابقة بتلك التنظيمات،

وربما ارتباط بتنظيمات أخرى، لكن هناك أربعة تنظيمات خارجية ترتبط بالواشي وأهدافي، حتى وإن كان ارتباطًا منفردًا وليس بكل الأهـداف، والارتبـاط الأخير هو سجلات عمل سابقة لفاتنتي تلك معهم..

الشيء الأخير أو الافتراض الذي أتى في خاطري بدون أي مقدمات، هو ارتباط بين الداخل والخارج، لأجد حلقة اتصال بين أحد تنظيمات الداخل وثلاثة تنظيمات خارجية من بين الأربعة، تلك معلومة جديدة طرحت أمامي، لتضيق دائرة الاحتمالات بشكل أكبر....

أن أصل لتلك النتيجة لم يكن بالمجهود السهل، بل استغرق العمل ولعبة الاحتمالات والإقصاءات عدة أيام وساعات عمل متواصلة لأصل لتلك الفرضية، لكن في النهاية قد تضع أمامك شيئًا آخر، وهو أن كل تلك الاحتمالات هي مجرد فرضيات خاطئة، إنها نظرية التجربة والفرضية يا سادة. عليك أن تقوم بالتجريب لإثبات صحة الفرضية النظرية أو خطأها لتضع في نهاية التجربة أن الفرضية النظرية كانت صحيحة أو أنها قد ذهبت مع الريح، وعليك أن تبحث عن فرضيات أخرى لتتم دراستها على المستوى التجريبي..

*****

وجب عليّ أن أعقد اجتماعًا مجددًا مع سيدي بعد ما توصلت إليه

في تلك الفترة، فقد أنهكت قواي الذهنية لدرجة كبيرة جعلتني أحتاج إلى استشارة شخص آخر. وفي الواقع لا يوجد لديّ أي شخص غيره يمكنني التشاور معه الآن. وصلت دائمًا حسب الموعد المحدد لأجده ينتظرني، ينتظر كل ما هو جديد مني...

-لم أشك للحظة واحدة أنك سوف تأتي إليّ هنا بعد أن تدرس كل البيانات التي وصلتك..

-في الواقع يا سيدي الأمر مرهق للغاية. المجهود الذهني كبير للغاية في دراسة كل تلك الاحتمالات..

-هذا صحيح، لكن دعنا ندخل مباشرة إلى ما توصلت إليه..

-أولاً يا سيدي لي سؤال قبل أن نبدأ في هذا إن كان يحق لي السؤال..

-أتوقع هذا، بل أتوقع سؤالك.. لماذا تخلينا عن شخص مثل هذا؟..

-تمامًا يا سيدى..

-أتعلم خيل الحكومة.. هي كلمة تطلق على خيل الشرطة قديمًا، والذي يتم قتله حين يكبر في السن، أو يتم إخراجه من الخدمة.. يمكنك تخيّل أمر مماثل، لكنه خرج عن السيطرة، لم يكبر ويخرّف، لا بل إنه تكبّر وتملكه جنون العظمة. لذا لزم بتر هذا العضو لسلامة الجسد ككل..

-رد دبلوماسي ولن أتعدى حدودي للسؤال في أي أمر آخر..

ابتسم لي محييًا إياي على احترامي لقراره، قبل أن أشرح له كل ما لديّ من احتمالات، وقبل أن أضيف في النهاية احتمالية خطأ كل هذا..

-مرة أخرى تصل إلى أفضل ما وصلنا له من قبل.. لكن توجب عليك أن تدرس كل هذا بمفردك

-هل يعني هذا أنك توصلت لهذا قبل أن تمدني بالمعلومات؟

-لا، بل توصلنا له معك. المعلومات وصلتك مباشرة فور حصولي عليها، وشرعت أنا وفريقي على تحليلها ولم نصل لأفضل من ذلك.. لكن لنقل إننا توصلنا لشيء رائع، ولنعترف أنه كان خطأ من الخصم، فقد كنا ندرس كل المشكوك في أمرهم لاختراقنا، ولكنهم بمنتهى الغرور أوصلونا إليه بمنتهى البساطة. والآن نحن نبحث عنهم هم بعد أن قمنا بتضييق دائرة البحث..

للمرة الأولى أرى نوعًا من الأريحية على محيا سيدي وبادرة أمل تضئ في نهاية النفق المظلم الذي أمر من خلاله، ليتسرب الشعور بالاطمئنان إلى داخلي أنا أيضًا معلنًا تغيرًا ولو طفيفًا على مقاليد الأمور...

*****

الفصل السادس

الانتظار في تلك المرة لم يكن قصيرًا، كل طرق الاتصال بيني وبينهم قد انقطعت إلا من أجري الذي وجدته قد وصل إلى حساباتي في الخارج بشكل فعلي. كل هذا لا يهمني، فالمال ليس هدفي من البداية. يمكنني أن أقول إننى ولأول مرة في حياتي لم أعد أتحمل الصمت والانتظار، حتى كل ما أعرفه من تدريبات للهدوء لم تفلح في تلك المرحلة، إلى أن أتاني اتصال من فاتنتي تلك لتحدد لي موعدًا معها كنت حريصًا عليه أكثر منها..

تواجدت في الموقع قبل الموعد بساعتين تقريبًا، فلم أكن أستطيع الانتظار، وجدتها تأتي إليّ حيث حددت اللقاء على الشاطئ في منطقة خالية من الكائنات الحية جميعًا. لكن بحضورها وبقدوم جيشها الجرار الذي يتبعها أعادوا الحياة مرة أخرى إلى هذا المكان من جديد. تقدمت إليّ بينما تولى مرافقوها تأمين المكان المهجور، ارتدت ملابس رياضية هذه المرة. فيبدو أنها قد انتهت من جلسة للتمارين منذ قليل قبل أن تأتي إليّ، ابتسمت لي قبل أن أباغتها بسؤالي:

-قبل كل شيء يجب أن أعلم كيف تسرب خبر ذهابي إليه.. إن كان لديكم واشٍ فعليكم التعامل معه..

حاولت أن تضفي المزيد من المصداقية على ابتسامتها لتبدو على

طبيعتها وهي تجيبني بكل أريحية:

-الأمر أبسط مما تتخيل.. لقد كان فردًا منا، ويعلم أسلوبنا في التعامل، وبالتالي انتظر نهايته..

-وهل تعتقدين أنني سأصدق تلك الخرافات؟..

تحولت معالمها من تلك الابتسامة والهدوء المصطنع إلى حدة تمرر من خلفها إغلاق النقاش في تلك النقطة..

-هذا هو ما حدث وقد تم معالجة الأمر، صدقني لن تجد شيئًا مماثلاً مستقبلاً..

-وهل تعتقدين أنني سأكون آمنًا في هذا المستقبل؟.. أنا في البداية أرفض طريقة العمل، ومع ذلك أرغمتموني على العمل معكم بطريقة وأسلوب مخالف لعملي في المرة الماضية وانتهي الأمر بكارثة..

-حسنًا، أقدم لك اعتذاري، وأعدك أننا لن نتدخل في أي مهمة قادمة..

-وهل تعتقدين أنه ما زال هناك المزيد من المهام التي ستتم..؟

-قائمة المهام لم تنتهِ بعد. وأنا أيضًا لم أنتهي منك بعد. فقد كنت أعد احتفالاً صاخبًا في المرة السابقة لولا ما حدث..

من جديد تستخدم الترغيب في حديثها بين اللين والشدة، تتنقل هي ببراعة، تريد أن تتحكم بكل خيوط اللعبة الخاصة بيننا..

-حتى هذا في مخيلتك. ما بيننا الآن هو العمل ولا غير، اعطني ما لديكِ ودعيني أنصرف..

-حسنًا، إليك مهمتك الجديدة التنفيذ يجب أن يتم في غضون خمسة أيام لا أكثر..

-قلت لكِ لا شروط أخرى.. أنا أنفذ مهامي طبقًا لأسلوبي أنا. غير ذلك يمكنكم أن تبحثوا عن غيري..

-لو اعتبرت هذا رفضًا.. فستكون في عداد الأموات..

-أنا بالفعل ميت ورقيًا.. كما أنني أواجه الموت في كل مهمة أقوم بها. وكنت على وشك أن أهوي من فوق حافته في المرة السابقة.. هذا ما لديّ استشيري من تريدين، فأنا لن أنفذ في حال وجود أي شروط أخرى..

لم تجبنِ، بل نظرت لي بعمق قليلاً وأنا أنظر لها بتحدٍ كبير لا ألقي بالاً لأي شيء، فيجب أن أملي شروطي ولو لمرة واحدة على الأقل. لم تطل في ذلك بل شرعت في إجراء مكالمة لم تكن طويلة أو مقتضبة حتى، بل لنقل إنها محادثة في المعدل الطبيعي، قبل أن تنهيها وتعود لتحاورني مجددًا..

-حسنًا، لا شروط.. لكن أرجو أن تتم في أسرع وقت ممكن..

تناولت منها الملف الذي يحوي تفاصيل تلك المهمة بدون أن أنبس

بأي كلمة، مغادرًا المكان في هدوء شديد غير مبالٍ بها أو بأي جديد قد تُضيفه لي..

*****

كالعادة شرعت في عملي بمنتهى الجدية. مهمتي التالية لرجل أعمال آخر يعمل في مجال السياحة، لديه عدة شركات في الداخل والخارج من شركات سياحية إلى سلاسل فنادق وقرى سياحية وعدة ملاهٍ ليلية في بلاد مختلفة. رجل نستطيع أن نقول عنه ببساطة إنه أحد أساطير السياحة في منطقتنا تلك، ولم يتأثر حتى بركود السياحة الداخلية.. بل حوّل كل تعاقدات مكاتبه في الخارج إلى منشآته الخارجية لتكون في النهاية حصيلة هؤلاء السياح في خزانة شركاته وأرصدته البنكية، لا يهمه إن كانت تلك الحسابات قد أتت بعائد على الناتج القومي المحلي أم الناتج الخاص به فقط..

تفاصيله الأمنية ليست بالمستحيلة وليست بالسهلة، بل لنقل إنه شخص طبيعي أو في المتناول، فهدفي تلك المرة رجل بيتوتي عائلي من الدرجة الأولى، عملي بامتياز، لا يغادر أسرته ومنزله إلا في حالة العمل القصوى. لكن السؤال الأدق أي منزل بالتحديد؟ فهو يمتلك منزلاً في كل قرية سياحية يمتلكها، وحتى في العاصمة، وكذلك في الخارج..

رجل أعمال مثالي، لا نساء، لا خطايا، لا شذوذ في نمط حياته، مما جعلني أعمل بشكل أكبر على اختراقه. لكن ربما تكون المثالية الزائدة هي مفتاح وصولي إليه. لذا وجب عليّ أن أعود مجددًا لخاصية التتبع. وكما توقعت وجدت روتينًا يوميًا لا يتغير من التحركات، الإقامة في أحد المجمعات السكنية الصعب الولوج إليها. يوميًا في الثامنة صباحًا يغادر إلى شركته منفردًا بسيارته الخاصة، وقرابة الرابعة مساءً يخرج لتناول الطعام في أحد الفنادق القريبة من محل عمله، ويعود لشركته لإتمام بعض الأعمال حتى بعد خروج موظفيه، ولا يغادر قبل السابعة مساءً عائدًا إلى سيارته التي يتركها في جراج خاص أسفل العقار الذي توجد به شركته. لم يكن عليّ إلا إيجاد تلك الثغرة.. خروجه ليلاً ليس كثيرًا أو منتظمًا، فقط يكون لمواعيد عمل مرتبة سابقًا أو زيارات روتينية لأقاربه أو أصدقائه..

تطلّب مني الأمر أن أقوم بفحص الجراج الذي يعمد لترك سيارته فيه أثناء يوم عمله، لم يكن هناك الكثير من الكاميرات، سيارته تقع دائمًا في موقع مخصص لها.. الغريب أن تلك المنطقة من الجراج لا توجد بها أي أنظمة مراقبة. يبدو أنها خاصية متاحة لمستخدمي تلك البقعة من هذا الجراج الذي اخترته ليكون مكان إتمام مهمتي..

لكنني قررت أن أغوص أولاً في ساحته الخلفية، أن أبحث عن أي شيء قد يساعدني أو يجعلني أفهم أكثر، لكنني لم أجد أي شيء، لقد كان

شخصًا مثاليًا بالشكل الذي يبعث على الريبة دون أن تضع يدك على أي دليل. لكن هناك شيئًا واحدًا وجدته.. هدفي السابق عمل معه لفترة كمستشار أمني له ولمجموعته، إذًا ما زال هناك تواصل بينه وبين كل أطراف اللعبة للآن..

انتهى وقت البحث، وبدأ وقت التنفيذ في الموقع الذي أخبرتكم به سابقًا. العبث بسيارته هي وسيلتي لقتله، قطع بعض الوصلات الخاصة بمحرك سيارته، مع مادة مشتعلة قمت بوضعها في فتحة إخراج العادم الخاص بها، وهذا سيجعله بمجرد أن تسير السيارة بضعة مترات مع درجات الحرارة المرتفعة التي نجدها في الصيف وسخونة الموتور التي حرصت على أن تحدث سريعًا بتعطيلي لنظام التبريد الخاص بها، سيكون كفيلاً بتفحم السيارة بالكامل وهو بها..

انتظرته بجوار سيارته في الموعد الذي يغادر فيه، تعمدت أن يبدو مظهري رسميًا، أقف بجوار سيارته أنفث دخان سيجارة مصطنعًا عشقي للنيكوتين الذي أبغضه وبشدة، متكئًا على سيارته أنظر إليه بكل هدوء وثقة لأجده يبدأ في الحديث معي بكل هدوء:

-عذرًا سيدي، تلك سيارتي، هل يمكنني مساعدتك؟..

-في الواقع سيدي أنا هنا بانتظارك، أحتاج للحديث معك لبضع دقائق بشكل ودي..

أنهيت حديثي ثم أبرزت له بطاقة هوية مزورة تظهرني أعمل في أحد الأماكن الأمنية الحساسة في البلد. لأجد تلك الربكة قد أحاطت بوجهه قبل أن يعود متلجلجًا في حديثه معي من جديد:

-خيرًا.. خيرًا يا فندم.. هل هناك أي شيء أمني تورطت فيه أنا أو شركاتي أو أي من أفراد العمل عندي يستدعي تلك الزيارة؟

-لا يا سيدي، أنا هنا للحديث معك بشكل ودي.. إن سمحت لي لنجلس في سيارتك بضع دقائق ونتحدث..

تعمدت أن أترك باب السيارة المجاور لي مفتوحًا، حتى يطمئن أنني لست سارقًا، وطلبت منه أن يدير محرك سيارته حتى لا يرتاب أي أحد من جلوسنا هنا، ونفذ طلبي بينما كنت أريد أن يعمل محرك سيارته لمدة أطول حتى تزداد حرارة السيارة بالشكل اللازم قبل أن يبدأ بالتحرك. قبل أن أضفي بعضًا من الود المصطنع في الحديث حتى أستطيع أن أخرج منه أي شيء قد يفيدني قبل أن يلقى حتفه:

-في الواقع يا سيدي أنا أعتذر عن تلك الطريقة، لكن مبدئيًا أريدك أن تخبرني إن كنت تعرف أيًا من هؤلاء؟..

ثم أعطيته مظروفًا صغيرًا يحوي صور الأهداف السابقة، وجدته يتمعن بهم وبشدة، بينما عرقه الغزير قد زحف على جبهته مارًا بكل ثنايا وجهه الذي ازداد عمره لسنوات عدة في الدقائق القلية التي التقيته بها قبل أن يجيب بكل توتر:

-في الواقع أغلبهم شخصيات عامة، ولكن على حد علمي أنهم قد لاقوا ربهم في الآونة الأخيرة. بعضهم كان عميلاً لشركتي عندما يستضيف أفواجًا مهمة من الخارج - مشيرًا للقتيل الثاني - ولكن هذا الشخص عمل معنا لفترة في النواحي الأمنية للشركة بصفته خبيرًا أمنيًا في تأمين الأفواج السياحية، وقد سهل لنا بعض التأمينات التي نطلبها، لكن ما أعلمه أنه قد انتحر منذ فترة وجيزة..

-في الواقع يا سيدي لدينا معلومات أن هؤلاء الأشخاص قد قُتلوا بشكل احترافي، وأنا أتولى تلك القضية، وبالبحث عرفت تلك المعلومات التي أخبرتني بها، لذا أتمنى أن تحدثني بشكل أكبر.

-هل هذا يضعني في موضع الاتهام؟

-لا سيدي، لنقل إنه حديث ودي، وأعدك أن شركتك واسمك لن يتصلا بأي من تلك التفاصيل، التحقيق في غاية السرية، ولا أحد يعلم بأنهم قتلوا، لذا أردت أن تحدثني عن الأخير هذا..

-سيدي أنت تعلم أنه رجل أمني سابق، والتعامل معه كان فيه مكسب كبير لي ولشركتي، وحقيقة أنه في بعض الأحيان استقدم لنا أفواجًا من الخارج، لكنه أدخلهم في مناطق أعتقد أنه من المستحيل الولوج إليها في عدم وجود شخص مثله معنا. كان يتقاضى أجرًا عن عمله، وأنا لم تكن لي علاقة بتلك الرحلات سوى أن شركتي مسئولة عن الإقامة

وتنقلاتهم...

شعرت في حديثه الصدق التام، فالرجل مثالي لأقصى درجة، ومع الارتباك المسيطر عليه من هول الموقف، لم أكن أشعر فيه بأي أنواع الكذب، ربما أراد أن يباغتني بالحقائق حتى لا أهاجمه بها لتبرئة نفسه. استرسل لي في شرح طبيعة العمل قبل أن أقنعه أنه قد أفادني كثيرًا في التحقيق وربما نكون على تواصل إن لزم الأمر..

-حسنًا سيدي، شكرًا لك. لكن إن سمحت لي بكارت خاص منك إن أردت أن أتواصل معك، أو أن أحظى بإحدى الرحلات التي تقدمها شركتك في الآونة المقبلة..

تعمدت أن يبدو حديثي بصيغة الانتهازي لرحلات مخفضة من تلك الشركات الكبيرة، فوافقني على الفور معتبرًا إياها رشوة صغيرة لي حتى لا يتم ربطه بأي تهم محتملة في التحقيق السري لوفاة هؤلاء الرجال. تركته ورحلت على الفور، بينما سيارته لم تخذلني أبدًا، لم تتجاوز الكيلو متر الواحد قبل أن تنفجر بالكامل مع مادة بسيطة متفجرة وضعتها ساعدت على تفحم قتيلي على الفور...

*****

الحقيقة الثانية

بعد أن أتممت المهمة تلقيت اتصالاً بتحديد موعد جديد من تلك الفاتنة. لم أحرص على الذهاب مبكرًا، بل تعمدت أن أكون متأخرًا عن موعدي. وجدتها في انتظاري وغضب الدنيا بأكمله ينطلق تجاهي من بين براثن عينيها، لم تكن في تأنقها كما اعتادت، بل أرادت أن تبدو أمامي بمظهر حازم لم يخل من لمستها الأنثوية، لكنه لم يكن بطغيان المرات السابقة.. لم تنتظر أن أجلس حتى، بل باغتتني مهاجمة إياي على ما فعلته متعمدًا في مهمتي السابقة منتظرًا لرد الفعل هذا..

-عليك أن تعلم أن ما قمت به هو عمل صبياني.. وليس ضمن طريقة عملنا. أم أنك أفلست في طرقك التي تفضي للموت؟..

لم أجبها بل جلست في هدوء مبتسمًا إليها قبل أن أجيب عليها بكل سماجة وبرود أعصاب:

-مرحبًا، سعدت بلقياكِ، انتظرت ترحابًا أفضل من هذا.. خاصة منكِ..

-لا وقت لدينا للمزاح.. ما فعلته أمر مرفوض، تفجير سيارة في وسط الزحام أي جنون هذا الذي قمت به؟..

-قولي إنه جزء بسيط من دينكم الذي يتوجب عليكم رده لي.. أما

الرجل فقد قُتل والجميع اعتبر الحادث عملاً إرهابيًا للنيل من استقرار الوطن.. وأما طريقة عملي فمن الآن لا يحق لأحد التدخل بها.. أما عن إفلاسى فأنا أترك أشهى أطباقي إليكِ، إن أردتِ يمكنني أن أجعلك تتذوقينه الآن..

-لا وقت لدينا للمزاح الآن.. سيدي يعرف أنك غاضب، لتعتبر هذا تحذيرًا لك.. ولتأخذ فترة لتريح أعصابك قبل مهمتك المقبلة، لكن أي عمل مشابه ستكون روحك هي الثمن، فنحن لن نترك خلفنا أي أخطاء.

-أتمنى أن تتحدثي عن روحِ تملكينها.. فروحي ملعونة تلحق اللعنات بالآخرين دونما أن يصيبها أيٍ ملل..

انتهى لقاؤنا وأنا ارسم آيات النصر على محياي، والتي عكست ما شعرت به بداخلي، لقد استعطت لأول مرة منذ بداية العمل معهم أن أجعلهم في موقف المتوتر وليس أنا، يخشون أن أخرج عن السيطرة، وقتها سيحتاجون لتصفيتي، لكنني في المقابل أبعث تهديدًا إليهم، بكل تأكيد قد يضعون احتمالات لإمكانية قربي من معرفتهم، فكل تلك المدة ليست بالبسيطة لشخص مثلي على تقفي أثرهم، حتى وإن لم أكن قد فعلت بشكل كامل، لكنني على الأقل سعيت لأغرس ذلك الشعور بداخلهم..

*****

لم يكن هذا لقائي الوحيد بل توّج بعقد اجتماع آخر مع سيدي بعدما أطلعته على كافة المستجدات التي طرأت على عملي.. لأجده هو الآخر ينتظرني بضجر كبير يسيطر عليه مما فعلته، فأنا أعلم أن فعلتي السابقة لن تمر ببساطة..

-أيًا كان ما دفعك لإتمام مهمتك بتلك الطريقة، وأن تسبب الأذى للعامة فهو مرفوض..

-سيدي.. إنني أعتذر عن هذا، ولكن كان يجب عليّ أن أرد عليهم بشكل مختلف.

-لا تدع غضبك يسيطر عليك مجددًا.. أنت لا تعلم ما تم بذله من جهد حتى يتم احتواء الأمر وتوجيهه للمنحى الذي ظهر عليه للجميع..

-أعتذر مجددًا ولكنني..

-لن يُجدي أي اعتذار تقدمه.. بمنتهى البساطة كانت هناك قرارات على وشك الصدور لتصفيتك لولا تدخلي في الأمر كضامن لعدم تكرار هذا.. فنحن ما زال أمامنا هدف أكبر لم نحققه بعد.. والآن لتخبرني ما لديك من أمر لم تخبرني به..

-في الواقع يا سيدي قتيلي هذا أفضى إليّ بمعلومات جديدة.. فأغلب هؤلاء تعاملوا مع شركته بشكل عملي. أما الأخير فعمل معه كمسئول أمني، أو بمعنى أدق تسهيل إجراءات أمنية لشركته. وأيضًا إحضار

أفواج سرية لها..

-أي أفواج تلك التي تتحدث عنها؟..

أخبرته بكل ما أخبرني الرجل به عن الأفواج السرية التي جلبها هذا المسئول الأمني السابق، وزيارتهم لأماكن شبه ممنوعة بتصاريح رفيعة المستوى أو بدونها، حتى أنهم جميعًا كانوا في ضيافته هو، والشركة مجرد وسيط لإتمام الأمر..

-يبدو يا سيدي أننا أغفلنا شيئًا مهمًا. وهو أن نبحث عن صلته بالقتلى، وليس من يريد قتلهم فقط..

-في الواقع أنا لم أغفل الأمر. فمنذ اللقاء الماضي وأنا أعمل على ذلك. كنت أعرف أنه يرتبط بصلة أو بأخرى بهم، لكن ما توصلت إليه ليس بالقليل إضافة لما أخبرتني به عن قتيلك الجديد.. إنه عبارة عن شبكة أخطبوطية لديه كم هائل من العلاقات وهؤلاء هم جزء بسيط منا..

-إذًا هو وشبكة علاقاته بالكامل مستهدفون..

-لا ليس الأمر كذلك، هناك شيء ما زلت لا أفهمه، هو وبعض منهم كانوا يخططون لشيء ما في الآونة الأخيرة لكنه لم ينتهِ منه، وللآن ما زلنا لا نعرف، لكننا الآن نحصر بعض الشخصيات في دائرته والمرتبطين بهذه الشخصيات لنعرف مَن منهم قد يكون التالي..

عامة هذا الملف ستجد فيه كل ما لديّ من معلومات الآن.. لكن هناك ملحوظة واحدة، كل هذه الشخصيات ممقوتة منا، أو لتقل مغضوب عليهم، لكنهم جميعًا كانوا يقعون تحت دائرة نفوذه وحمايته، أتمنى أن تصل إلى شيء مفيد من هذا..

كالعادة تعني تلك الجملة إنهاء المقابلة معه، مما دفعني للاستئذان منه والعودة من جديد لدراسة ما لديّ من معلومات، ففي تلك المرة ستكون لديّ فرصة أكبر في العمل مع الراحة المؤقتة التي حصلت عليها من لقائي الأخير مع تلك الفاتنة..

*****

لم أكن أتوقع أن أجد كل تلك المعلومات أمامي، فهذا الرجل هو منظومة فردية متحركة، استغل كل ما لديه من سطوة ونفوذ في تحقيق كل شيء قد يُدفع من أجل الأموال. الأول قد ساعده في الحصول على صفقات دوائية مختلفة نشبت عليها صراعات كبيرة، ولم يكن المرشح الأبرز لها من بينها صفقات تعد محظورة. والأموال كلها قد حوّلت له للخارج في حسابات سرية ليست لدينا حتى. الثاني كذلك تعامل معه في العديد من صفقات السلاح في الداخل والخارج بشبكة علاقاته الكبيرة التي تتنامى دائمًا وأبدًا، وأيضا الأموال كلها في حسابات سرية مجهولة. الثالثة كانت أداته في الترهيب للجميع، الآن علمت لماذا انتقدت رجل السلاح، لم يكن هذا إلا أحد أنواع الضغط منه عليها وهي

لا تعلم ذلك، في مقابل تسهيلات حقوقية يعطيها لها ولمؤسستها في الداخل، مع بعض الأخبار والحصريات والمعلومات التي تجعلها دائمًا في طليعة العالمين بالأمور ليذيع صيطها من خلال ذلك مع ازدياد في شهرتها..

هنا استوقفني الأمـر.. السيدة قد خدعتني ولـم تذكر لي سبب هجومها على هذا الرجل، لكنني الآن قد علمته، وأعتقد أن الواشي بالتالي يتعامل معها ومع مؤسستها في الخارج، ربما تسبب في القضاء على بعض أعضاء منظمتها عالميًا من أجل الضغط عليها في الآونة الأخيرة. وربما امتلكت بحوذتها ما يدينه. نقطة أخرى يجب أن أبحث عنها، ماذا لدى تلك الحقوقية من أسرار؟ لكنها الآن قد قضت نحبها على يدي..

أمـا الـرابـع فقد كانت لشركاته العقارية تعاملات معه، وبعض التسهيلات في حقوق الأراضي التي تقع تحت طائلة بعض الأماكن الأمنية. كل تلك الأراضي قد أخذت بوضع اليد. مجموعة من العربان يستولون عليها ويظهرون حججًا بأحقيتها لهم من سنوات مضت، ويتدخل هذا الشخص لإنهاء المصالحات معهم نظير مبالغ مالية تُدفع للدولة، بعدها بفترات متغيرة يتم بيع تلك الأراضي لرجل المقاولات هذا ليفرض سطوته ونفوذه عليها ويبدأ في مشاريعه الاستثمارية التي لا تخيب أبدًا مع الاحتفاظ بنسبة الوسيط الدائمة وهدية من بين

الأميز في تلك المشاريع..

أما الأخير فأنا أعرف ما لديه، كان أصدقهم معي، لكنني تعرضت للمراوغة من قِبل السابقين. فعليّ الحذر في خطوتي التالية، لكن مَن سيكون التالي؟ هذا ما أجهله، وهو نفس الأمر الذي يعمل عليه سيدي. لكن هناك شيئًا آخر يجب أن أبحث خلفه، الأموال في الخارج وكيفية تسويتها للداخل..

لنقل إنها عملية غسيل أموال منظمة، فأنا أيضًا كنت أقوم بذلك من خلال حساباتي الخارجية، لكن على مستوى صغير قدر حجمي الضئيل وسط تلك المنظومة الكبيرة التي ابتدعها هذا الشخص، أو نهج فيها أساليب لأشخاص قد سبقوه..

هنا توجب عليّ البحث أيضًا عن حسابات لباقي القائمة. الثاني بدا من السهل العثور على أرصدته بالخارج أو توقع وجود ذلك بحكم شراكته مع شركات خارجية وعمله في مجال السلاح. وبحكم عملي في مجال البنوك سابقًا لم يكن من الصعب عليّ تتبع أرصدتهم، لكنه بدا من المستحيل الوصول إلى أرصدتهم السرية في الخارج التي اتضح أن جميعهم يمتلكون مثلها..

وهنا لا أتحدث عن أرصدة من السهل تتبعها في دول أوروبية تتمتع ببعض النزاهة والشفافية المزعومة، ولكنني أتحدث عن أرصدة في بنوك في دول لاتينية خُصصت لعمليات غسيل الأموال تلك نظير نسب

معلومة. إنها منظومة عالمية، أرصدة تحوّل لتلك البنوك لتمر بعدة حسابات في تلك الدول وبعض دول الغرب الأفريقى أو الشرق الآسيوي الفقيرة لتصل في النهاية إلى حساباتهم السرية بشكل شرعي.. كبار العالم كلهم يلعبون تلك اللعبة..

ولكن تلك الأمور تحتاج إلى مصرفيين مخضرمين يجيدون تلك اللعبة بامتياز، ولذلك قائمتهم في الداخل ليست بالكبيرة، فهم لا يتعدون أصابع اليد الواحدة، ولحسن حظي أعرفهم جميعًا. لكن أيهم لديه صلة بهؤلاء الرجال مجتمعين؟ هذا ما عليّ معرفته..

كالعادة أخبرت سيدي بالجديد علّه يفيدني بأي معلومة أخرى تقربنا من كشف كافة الحقائق وتحقيق الانتقام الكامل من الشخص العابث بنظامنا..

*****

الفصل السابع

مدة الانتظار لم تكن طويلة بالقدر الذي توقعته، فيبدو أن مقياس الراحة لديها أقل مما أعنيه، أو أنها ليست بمعيار ثابت، ففي بعض المرات تكون الراحة طويلة كالمرة السابقة، والآن الراحة لم تصل إلى عُشر تلك المدة السابقة. لكن الآن لديّ عمل جديد ومهمة أخرى، بعد اتصال أخبرتني من خلاله أن كافة البيانات قد وصلتني على حسابي المؤمّن الجديد، حتى أبدأ الشروع في إزهاق روح جديدة تنضم إلى سابقيها...

لكن هدفي تلك المرة أتى خارج توقعات سيدي، فلا توجد أي معرفة حقيقية لاتصاله بالقائمة السابقة، لكنه أيضًا ينضم إلى قائمة المغضوب عليهم. لذا أخذت أوامري بالتحرك لتنفيذ المهمة علّنا نحصل على حقيقة أخرى تجعلنا نتقدم خطوة للأمام، مع تشديدات كثيرة ألا أكرر نفس الفعلة الماضية. فما قمت به لم يكن إلا عملاً طائشًا مني وأنا أعترف بذلك، لذا نحيت غضبي جانبًا، وأعطيت جلّ تركيزي لإتمام المهمة بمنتهى الحرفية التي أعتاد عليها..

هدفي في تلك المرة هو رجل أعمال آخر يمتلك إحدى كبرى الشركات التي تعمل في قطاع خدمات البترول، ومساهم في عدة مشاريع في الداخل والخارج لشركته التي تعد إقليمية وليست محلية فقط.. لا أعلم

مدى قيمته بالنسبة للقائمة السابقة، فلا يمكن مقارنته بهم في الغنى أو الثراء، لتعود الحيرة من جديد، خاصة وأنني بعد تتبعه لم أجد له أي حسابات أموال مسربة للخارج بشكل سري حسب الطرق الاستقصائية التي عملت من خلالها، أو ربما لديه طرق لم أعرفها بعد. عامة أنا لا أتحرى عن أهدافي بهذا الشكل، لكنني في الوقت الراهن أسعى لأعرف أي شيء عنهم أو منهم قد يجعلني أقترب أكثر من هدفي الحقيقي...

ما وجدته أن هدفي الحالي يعيش وحيدًا في ظل زواجه من أجنبية تقيم في الخارج رفقة أبنائها.. التسلل إليه لم يكن بالأمر الصعب على متخصص مثلي، لكني بحثت عن وسيلة قتل بعيدة عن منزله، فيجب التنويع في أماكن التنفيذ لربما يربط أحدهم بين كل هؤلاء بطريقة ما، فالحذر أصبح واجبًا..

هنا اكتشفت أن لديّ عربيدًا جديدًا مدمنًا على السهر في أحد الملاهي الليلية يحتسي الشراب حتى الثمالة، عائدًا إلى منزله في تعثر شديد، فكنت أملّ دائمًا من تتبعه لتلك المسافة التي لا تستغرق دقائق معدودة بسيارته، يقطعها في قرابة الساعة مترنحًا على جنبات الطريق..

بينما الساحة الخلفية الخاصة به لم تفضِ إلى أي جديد، فقط إنه عربيد، زير نساء متحرك، لديه الكثير من العلاقات السابقة مع نساء مشهورات على الساحة الاجتماعية، لكن عمله لم يدخل إلى تلك

الساحة، كلها أعمال نظيفة. لكن لدينا بعض الشبهات البسيطة حول عقود لشركته لم تكن تستحقها، فهناك من هم أكبر منه وقت توقيع تلك العقود، لكنه فاز بها بشكل أو بآخر، وهذا ما سأسعى لمعرفته منه في مقابلتنا الوحيدة القادمة..

التنفيذ لم يتأخر كثيرًا، تسللت إلى سيارته منتظرًا إياه أن يخرج من الملهى بعد أن تأكدت من ثمالته أمامي. وقد وصل إلى سيارته بحالة يُرثى لها، تحركت السيارة ببطء شديد في البداية مع تعثر في القيادة وتحديد الاتجاهات منه، شعرت هنا أنني قد ألقى حتفي على يديه، وليس العكس أن يلقى هو حتفه على يدي.. انتظرت حتى ابتعدنا عن أي أعين ترصدنا قبل أن أضع فوهة مسدسي في مؤخرة رأسه لأشعر بانتفاضته فزعًا رغم السُكر الذي يملأ جنبات جسده، بعد أن اختلط الخمر بدمائه بمزيج لا يمكنك تفريقه بسهولة، ثم بدأت حديثي معه:

-عليك أن تُكمل سيرك بشكل طبيعي يا سيدي، فلا شيء يدفعك للخوف..

-ما.. ما.. ماذا تريد مني؟.. يمكنك أن تأخذ ما تريد، سيارتي وما لديّ من أموال.. ولكن اتركني وشأني.

-سيدى لقد فهمتني بشكل خاطئ فأنا لست سارقًا إنما أنا رسول إليك.. عليك أن تتم الصفقة قبل أن أنتزع روحك في المرة التالية..

-أي صفقة تتحدث عنها، ومَن أرسلك إليّ؟..

-سيدي لا داعي للإنكار، أنا فقط رسول أتقاضى أجري لا دخل لي.. عليك أن تتم الصفقة..

ارتجلت تلك الحيلة، فلقد رأيت أن حالة السُكر التي تسيطر عليه قد تجعله يتحدث عن أمور لا أعرفها، أو قد تجعله يخوض في أمور محظور الحديث فيها، فهذا هو التأثير الفعال للخمر يا عزيزي، وللأمانة لم أكن أتوقع أن تعود عليّ بكل هذا النفع الذي حدث..

-لكن هذا ظلم بيّن.. لن أتخلى عن شركتي أو أدخل أي فرد فيها.. حتى وإن كانوا سيضيفون إليها أي نجاح وضمان للتقدم العالمي..

هنا ولأول مرة بدأت أضع يدي على أطراف الصفقة التي تتم في الخفاء، لم أكن أعلم أيهما ساعدني، سُكره، أم أن تغييري لأسلوب الاستجواب هو ما قربني أكثر، أم أنه القدر من ساقني إلى تلك النقطة التي لا يجب أن أتراجع عنها، وأن أكمل على نفس النهج حتى أحظى بالمزيد..

-إذًا مَن هؤلاء؟.. ولماذا ترفض العمل معهم؟.. فأنا وبدون معرفة أعمل لمجرد سخائهم المالي..

-أنت لا تفهم شيئًا.. لا تسئ فهمي، فأنت همك الأول اقتناء الأموال، أما أنا فمن صانعيها، ولا أرغب في أن يشاركني أحد فيها..

هنا القيت إليه بورقتي الثانية، صورًا لكامل قائمتي السابقة على الكرسى المجاور له مشيرًا إليه بأن يتلقفها..

- أيًا منهم كان وسيطك؟.. أو أنك تعرفه بشكل مسبق..؟

-أعرفهم جميعًا بشكل سطحي، لكن هذا كان وسيطي في الأمر ومعه شخص آخر ليس في قائمتك تلك..

لم يشر إلا على الواشي، ما زالت الشبكة العنكبوتية كلها تمر بين أنامله، حتى في مماته يبقى السر لديه.. لكنه أخبرني أن هناك شخصًا آخر عليّ أن أعرفه..

-من الشخص الآخر..

-اللعنة عليك وعليهم.. لقد علمت بانتحار هذا الرجل، وظننت أن الأمر قد انتهى، لكنك الآن تعود لتفسد كل شيء..

-في الواقع هو لم ينتحر، لقد قتلوه.. أخبرني بالشخص الآخر وسوف أساعدك..

-صدقني أنا لا أعرفه، ولا أتذكر اسمه حتى، لكن لديّ صورة له..

مد يده ليمسك بهاتفه الملقى بجواره، لكنني انتزعته منه، وأمرته أن يشير إلى مكان صورته على الهاتف، ليأتى بها سريعًا وأنا ممسكًا به، فقد دفعته رغبة النجاة من بين أنيابي التي تنهش لحمه على أن يفصح

لي عن كل شيء يعرفه قبل أن تمتد يدي إليه بأي سوء..

-هذا هو.. تلك صورة لكليهما معًا من إحدى كاميرات المراقبة في شركتي.. هذا كل ما أعرفه عنه، صدقني في ذلك.. لقد قدّمه لي على أنه مصرفي سيقوم بإنهاء كل شيء.. إذا وافقت على عرضه اللعين..

حقًا لقد أثلج صدري هذا الرجل.. أخبرتكم من قبل أن هناك مصرفيين معدودين يمكنهم أن يقوموا بتلك الأعمال المشبوهة في بلدنا هذا، ولم يخب ظني في أن يكون الذي في الصورة هو أحدهم. لقد عرفته من النظرة الأولى. إنه وسيلتي الأفضل الآن للوصول لهدفي الأكبر، فبالتأكيد شخص مثله سيكون لديه المزيد من المعلومات الهامة التي قد تفيدني في الوصول إلى نقطة النهاية التي بدت تلوح لي في الأفق. لكن يجب عليّ أن أنهي عملي هنا أولاً..

-ما هو ذلك العرض؟..

-أتعبث معي يا هذا؟.. ألست وسيطهم؟.. فمن الطبيعى أن تعرف العرض!..

-أنا وسيط بالفعل.. لكني وسيط للآخرة.. أخبرني ما هو العرض؟

أنهيت جملتي الأخيرة وأنا أقوم بشد أجزاء سلاحي في وجهه كنوع إضافي من التهديد له..

-حسنًا.. لقد أرادوا أن يشاركوني في عملي بنسبة تتيح لهم الإدارة،

على أن يضخوا أموالاً أكبر في شركتي.. وأن أبقى أنا واجهتهم الأولى، وأن أتقاضى مبلغًا كبيرًا يتعدى حجم شركتي من الأساس..

-ومَن هؤلاء..؟

-لا أعلم، كل ما أعرفه أنهم من خارج البلاد، وهذا الشخص هو وسيطهم، والمصرفي هو المسئول عن تسهيل حصولي على الأموال في الخفاء بدون أي رصد لها.. معرفتي بهم كانت ستأتي إن وافقت على العرض، لكني رفضته لأكثر من مرة.. وللمرة الأخيرة أخبرك أن هذا هو كل ما لديّ...

حقًا بدا الرجل صادقًا، مما جعلني أضرب مؤخرة رأسه بسلاحي ليسقط أمامي على عجلة القيادة مغشيًا عليه من أثر الضربة والسُكر معًا..

توليت أنا قيادة السيارة متوجهًا إلى قمة جبلية خالية من الجميع، أجلسته مجددًا على مقعد القيادة واضعًا قدمه على محرك السرعة في سيارته، لأدعه ينطلق بها من تلك القمة إلى أسفل هذا الجبل، ليتبعها بعد ذلك إلى أسفل السافلين في قلب الجحيم..

*****

الطرف الثاني

للمرة الأولى أشعر بتقدم على خصمي، الآن لديّ الطرف الثاني في تلك القصة، فبعد أن كشفت الواشي من قبل، بين يدي الآن خيط جديد لا بديل أمامي من أن أعمل عليه. لقد عثرت أخيرًا على سيد الخزانة المصرفي المسئول عن التسهيلات المالية لتلك المنظمة التي تستغلني لتنفيذ قائمة اغتيالاتهم، بالتأكيد هو مسئول عن عملائهم هنا فقط، لكن هذا القدر يكفيني لأصل لما أريد في النهاية.. كالعادة عليّ عرض كل شيء على سيدي أولاً قبل أن أتحرك في أي اتجاه جديد..

لقائي معه لترتيب ما هو قادم، وليس للبحث في الماضي، فقد وجدنا الآن طرفًا جديدًا للعبة في الداخل، قد يجعلنا نصل لمن هو في الخارج. بدا على سيدي التفاؤل في تلك الزيارة، فتلك وللمرة الأولى، أراه مبتسمًا منذ أن خطونا أولى خطواتنا اللعينة في هذا المجهول..

-يبدو سيدي من تفاؤلك أن لديك ما يُثلج صدورنا تلك المرة؟..

-بالتأكيد.. المصرفي الذي أرسلت إليّ اسمه ومعلوماته هو أحد عملاء الواشي الذي أدخلنا في كل هذا، وفي الفترة الأخيرة كان مسئولاً عن عدة تحويلات خاصة به من الداخل للخارج والعكس، لكنه لم يكن وحده مَن يفعل ذلك، بل هناك شخصان آخران يقومان بنفس المهمة له..

-هل هذا يعني أننا أمام مثلث عمل مصرفي للقيام بتسهيل معاملاته..؟

-يمكنك أن تقول ذلك. لكن نحن الآن أمامنا هدف محدد، وهو مهمتك القادمة، فهذا هو رأس المثلث، اهتم به، ومن خلاله ستعرف إلى أين اتجاهه، وكيف تدمر القاعدة؟..

-لكنه يعرفني بشكل جيد يا سيدي، ومن المؤكد أنه علم بأمر وفاتي، أو أنه يعلم أن وفاتي مفتعلة وأنني على قيد الحياة..

-لذا أنت مَن سيذهب إليه، فمجرد رؤيته لك ستؤدى لإرباكه. لو قلنا إنه لا يعلم بأنك ما زلت على قيد الحياة فهذا سيكون عاملاً مفاجئًا له، وهذا هو الاحتمال الأكبر، فطبيعة عمل الواشي أنه يضع الجميع في حلقات مفردة. كل منها يعمل بشكل منفرد، لكنها جميعًا تجتمع في يده، لا يوجد شخص يعلم ما تحويه الحلقة الثانية. حتى وإن افترضنا أنه يعلم بأنك ما زلت حيًا، فبالتالي سيعلم أنه قد تم كشفه بالنسبة إليك. لذا عليك الحذر في كلتا الحالتين والمخاطرة كذلك، فهذا هو سبيلنا الآن لبداية النهاية..

-حسنًا سيدي، هل من تعليمات أو مهمة محددة أقوم بها؟..

-أعتقد أنك تعلم ما يتطلبه عملك. أولاً يجب أن تعرف وبشكل كامل كل ما لديه من معلومات عن شركاء الواشي في الخارج. ثانيًا عليك أن ترديه قتيلاً.. يجب أن يعلموا أننا قد كشفنا أمرهم..

-أهذا يعني أن أغيّر في نمط العمل..؟

-أريده أن يكون عبرة لهم ولكل من يعبث معنا.. إلا إن لزم الأمر أن تحافظ على حياته حسب ما تؤول إليه الأمور.

-وماذا عن الفتاة..؟

-لا تقلق، هي تحت المراقبة ونعلم مكانها، منذ اللحظة الأولى ونحن نقتفي أثرها..

-لكنك يا سيدي لم تخبرني بذلك..

-لا تأخذ الأمر بمحمل شخصي، أنا أعلم طبيعتك في العمل. عندما تكون تحت الضغط تعطي أفضل ما لديك، ولذا أردتك أن تكون في قمة تألقك..

-حسنًا سيدي..

شرد ذهني للحظات قليلة، فحديث سيدي هذا يعني أنه ما زال لديه ما يخفيه من معلومات عني، فربما يكون حذرًا معي، لا يريد أن يعطيني الحزمة كاملة بغية أن أبحث عنها جزءًا تلو الآخر، وربما يمتلك ما يفوق قدراتي، وبالتالي لا يريد إربكاي وتشتيت تركيزي في كل الاتجاهات، فأنا أسبح داخل النار بجسدي، بينما هو يراقب كل شيء من الخارج فقط، يشير إليّ بتعليماته ليعود مجددًا ويقطع شرودي هذا وكأنه يقرأ كل أفكاري..

-أعلَم فيما تفكر.. لكن لتتأكد أن هذا فقط هو ما أخفيته عليك. أمر آخر، عندما ذهبتما لقتل الواشي كلاكما كان مراقبًا، وعلمت بأنك من قام بالأمر..

-أهذا يعني أنني مراقب الآن أيضًا..؟

-لا، أنت فقط تكون تحت التأمين في وقت تنفيذ العمليات. هناك ثغرات نتلافاها. دعني أخبرك أنك وللمرة الأولى لم تكن في أفضل حالاتك..

-هل هذا يعني أن نهايتي قد اقتربت..؟

-لو كان الأمر كما تظن لكنت انتهيت منذ البداية.. أنت من بين الأفضل وعلينا أن نتفهم ما تمر به الآن.. لكن تلك خدمات سيتوجب عليك أن تردها في يوم ما..

-شكرًا لك يا سيدي.. وتأكد أنه عندما ينتهي الأمر سأكون طوع أمرك في تنفيذ ما تطلبه مني.. لكن لتدعني أعرف فيما كانت أخطائي..

-حسنًا.. لتعلم أنك أبدًا لم تكن بمفردك، هناك فريق داعم مستمر لك، وهذا الفريق ستحتاج إليه في الفترة المقبلة لإتمام باقي مهمتك.. في مهمتك الأولى التقطتك بعض الكاميرات في المكان، أنت حسبت نفسك قد قمت بإزالة كل شيء، لكنك لم تكن في قمة التركيز، كان عليهم أن ينهوا ذلك بدلاً عنك..

-لكني راجعت بشكل سريع ولم أجد شيئًا.

-هذا لأنهم حذفوه، أولاً لقد اخترقوا النظام الأمني وتابعوه من الخارج وقاموا بالعمل بدلاً عنك حتى تطمئن لأنك قد نجحت في تنفيذ مهمتك، فكان همنا الأول هو الوصول لهدفنا النهائي الذي اقتربنا منه.

-وهل من أخطاء أخرى سيدي؟

-نعم، في مهمتك الثانية، جرعة الأدرينالين كانت قاتلة، لكن ما لم تضعه في حسبانك هو أن أثر الحقنة قد وجد طريقه إلى جثة المتوفى، لذا كان علينا أن نتدخل على نطاق أكبر بتغيير في تقرير الطب الشرعي ليخرج كما أردت أنها وفاة طبيعية. وللعلم أنت لم تدخل إلى هذا المركز الصحي من الأساس طيلة حياتك، فلقد محوا كل شيء له علاقة بوجودك هناك، سواء في زيارات قبل أو بعد أو اثناء التنفيذ..

-ماذا أيضًا أخطأت فيه..؟

-إنه الخطأ الأخير.. هدفك الرابع، جرعة الحبوب الجنسية مع مشروب الطاقة الذي أعطيته إياه لم تكن قاتلة، فلقد فقد وعيه، وهذا ما جعلك تعتقد وفاته مع توقف لحظي لعضلة القلب، قبل أن يعاود عمله من جديد، لكن هناك من أنهى المهمة ليبدو الموت كما أردت فضيحة جنسية..

-سيدي أعتذر عن أخطائي تلك والتي أعلم أنها لا تعني شيئًا إلا إحالتي

للتقاعد أو إنهاء حياتي..

لم يُجبني مباشرة، بل أخذ وقته الكافي في إشعال سيجار آخر من صندوقه العاجي الفاخر القابع أمامه يحوي أبرز أنواع السيجار الكوبي قبل أن ينفث دخانه باستمتاع شديد بجرعة النيكوتين تلك التي أنعشت خلاياه المدمرة داخل رئتيه..

-أنت تعلم أن قرارًا كهذا كان سينفذ مباشرة بدون شرح أي شيء لك. لكننا نعرف مدى قيمتك ومدى دقة الظرف الذي تمر به. الآن عليك أن تكمل المهمة..

-وما هي التعليمات يا سيدي..؟

-كما قلت لك، المصرفي عليك استجوابه، وأن تظفر بإجابات شافية لنا منه..

*****

الفصل الثامن

إن التكليف الجديد أمامي بكل تأكيد مختلف عن أي شيء قمت به من قبل، فأنا ولأول مرة سأقوم بتنفيذ مهمة أمام هدفٍ أعرفه بشكل شخصي، حتى وإن كانت علاقتنا لا ترقى لمستوى الجدية الكبير، لكن سبق لي وأن تعاملت معه من قبل، فهو أول من أخبرني عن طرق التلاعب بالأموال في الخارج. نعم كنت أعلمها، لكنه أول من وضع قدمي على الطريق الصحيح للوُلوج إلى هذا العالم المالي المعقد..

أنا الآن في صراع نفسي كبير؛ هذا الرجل هو أحد الأسباب التي أوصلتني لما أنا فيه الآن على كلا الصعيدين. دون أن يشعر ساعدني لأكون من بين الأفضل. لقد اعتقد هو أنني مصرفيّ مختلسٌ أقوم بتهريب الأموال للخارج، لكنه جعلني أصنع أفضل طريق لتهريب أموالي دون أن يشعر أحد. وفي المقابل كان أحد أسباب تورُّطي في تلك المهمة. له فضلٌ يقيّدني عن أذاه، وعنده ثأرٌ أرغب بحصّده منه. لكن قبل ذلك عليه أن يدُلني على الخطوة القادمة في تلك اللعبة..

وأيضًا عندي تعليمات بأن وفاته يجب أن تكون عبرة للآخرين، رسالة يجب أن تصل للجميع بأننا قد كشفنا خطتهم. لكن الأمر احتاج إلى إزهاق سبعة أرواح سابقة حتى نصل إلى تلك النقطة التي سننطلق

من خلالها. على الجانب الآخر أعلم أن تلك الفاتنة تبحث عني، لم ألتفت لتهنئتها التي وصلتني عبر حساب البريد الإلكتروني مع طلب منها بانتظار الهدف القادم، لكني لم أكن في معقلي، فأنا الآن انتقلت لمكان آمن بمعية سيدي، وتواجد ثلاثة أفراد لمساعدتي هم جزء من فريق الدعم، أو لنقل إنهم فريق الدعم الرئيسي ومن خلفنا فرق أخرى للاقتحام والمداهمة. أولهم هو رجل التكنولوجيا القادر على اختراق شبكات إنـذار ونظم أمنية مختلفة، وأيضًا اختراق حسابات بنكية ومالية، وهو قادر على إسقاط منظمات وشبكات معلوماتية مختلفة لنقل إنه هاكر محترف قادر على فعل الكثير لكنه لا يفعل ذلك إلا نظير مقابل مالي مرضٍ له. الثاني هو قناص، نوع مختلف من القتلة، يستخدم في حالات معينة، لكن عليك أن تتأكد أنه لا يخطئ أي هدف يُطلب منه، الرصاصة التي تخرج من فوهة بندقيته لا تغادر إلا لقلب الهدف بإصابة قاتلة بكل براعة. الثالث هو قاتل محترف مثلي، لكنه لا يعمل بأسلوب القتل النظيف دائمًا مثلي، بل يلجأ له في بعض الحالات فقط، لكنه لا يهمه كيف يقتل، المهم هو أن يُردي هدفه في أسرع وقت حتى تصله أمواله كاملة. الشيء الحقيقي أننا لا نعلم أسماء بعضنا البعض، تلك هي التعليمات التي أصدرها سيدي، كل منا هو حلقة مفردة يعمل تحت رعايته حتى عندما جمعنا معًا لم يجعلنا نكشف كل ما لدينا...

زميلي الأول شرح لي كل شيء متعلق بمواعيد تنقله وإقامته وعمله، كل ما قد أحتاجه لأضع خطتي المثالية. فأنا ما زلت القائد لتلك المهمة، وثلاثتهم لمساعدتي على إتمامها كما يجب، وأيضًا عليّ أن أظهر لهم أنني الأفضل وأنهم للمعاونة لخطورة الأمر فقط، وأنني يمكنني فعل ذلك بمفردي، لكن تعليمات السيد هي ما جعلتني اعتمد عليهم. لذا كان علينا دراسة الأمر معًا وبشكل جيد.. ما علمناه أن كامل عائلته ستغادر المنزل في نهاية الأسبوع للذهاب لحفل ساهر لأحد المطربين، فهو يعيش برفقة أبنائه بمفردهم بعد وفاة زوجته، والمرأة التي تدبر أمور منزلهم تغادر في المساء وتعود في الصباح الباكر كل يوم، فهذا يعني أننا حددنا موعد ومكان التنفيذ..

وزعنا المهام، الأول سيقوم بالتشويش على أي أنظمة أمنية في محيط المنزل قد تكشفنا. فقد فوجئت بكم الأجهزة التي يمتلكها للقيام بهذا العمل. ودعني أخبرك أن منها ما هو ممنوع بكل تأكيد، لكن سيدي وعلاقاته وفروا له كل الإمكانيات، وكل تلك الخدمات سيكون لها نظير خدمي في المقابل، فالخدمات ترد بمثلها، لا ترد بالمال أبدًا. الثاني سيراقب من موقع مرتفع بمنظاره الذي يعلو بندقيته موجهًا فوهتها للفتك بأي خطر قد يقضي علينا أو يهدد سلامة العملية. والثالث سيتبعني في التنفيذ، لكن أولاً عليّ أن أقابله بمفردي. وللمرة الأولى أعمل في منظومة جماعية وأعلم أن هناك من يراقب كل تحركاتي...

لقد كنت في أبهى حُلة ممكنة، بدلة كلاسيكية وكأنني في طريقي لموعدٍ رسمي، وهو في الواقع سيبدو هكذا. أخذت طريقي بكل ثقة إلى منزل هدفي الجديد، طرقت الباب منتظرًا المجيب، تأخر بعض الوقت قبل أن أجده يفتح الباب بزي منزلي يعلوه روب متأنق يتوافق مع هندامه الكلاسيكي لشخصية تشغل منصبه الرفيع في المجال المصرفي في بلادنا تلك..

بدا عليه الارتباك في البداية لرؤيتي كأنه رأى شبحًا يطرق بابه في ليلة جوفاء يعلم أنه وحيد فأتى كي يقتنص روحه في جرعة رعب محسوبة بمنتهى الدقة. فهل يعود الأموات للحياة بعد شهور عديدة؟ أخذ مني بعض الوقت حتى يهدأ قبل أن أبدأ في الحديث معه. فقد بدا أنه لا يعلم بأمر بقائي حيًا، وقد اعتبرني شبحًا أتى إليه من عالم الموتى، لذا كان عليّ المراوغة في البداية معه..

-في الواقع يا سيدي لقد نجوت من الموت بأعجوبة، ولا أعرف مَن الشخص الذي دُفن مكاني، لم أستعد عافيتي إلا بعدها بفترة، حاولت أن أقتفي أثر من أراد ذلك لفترة لكنني لم أفلح، حاولت أن أصل لكل يد يمكنها أن تمد لي العون، ولم يتبق لي إلا أنت..

-وكيف لي أن أساعدك؟ أنا لا يمكنني ذلك، حتى وإن أمكنني، فلن أغامر بسمعتي ومركزي من أجل شيء كهذا..

-سيدي الأمر بسيط أنا لا أريد من سيادتك أن تبدو في الصورة تمامًا،

فقط أريدك أن تساعدني في التفكير، مَن أراد قتلي طلب مني التلاعب بعدة أرصدة وحسابات لقائمة من رجال الأعمال، لكني تخوفت واعتذرت فهددني فوعدتهم بعدم الحديث، لكني نجوت من الموت بأعجوبة شديدة على يدهم. منذ ذلك اليوم وأنا أبحث في إطار تلك القائمة، لكن كلما اقتربت من أحدهم وافته المنية..

-وهل جننت؟ أتأتي إلى هنا حتى تعرضني لهذا الخطر..

-سيدي، اهدأ، طالما أنني قد وصلت إليك فأنت بمأمن.. فكل تلك الشخصيات قد وصلت إليها عقب موتها.. وتلك هي قائمتهم التي كشفتها للآن..

ألقيت إليه قائمة القتلى السابقين، لأجده يفرك جبهته محاولاً إخفاء قلقه أمامي، قبل أن يتماسك بشكل نسبي ليعاود الحديث من جديد، لكنه حاول المراوغة كما بادرته أنا في البداية..

-في الواقع أنا لا أعرف أيًا منهم بشكل شخصى. لكن ما أعرفه أنهم قد توفوا بشكل طبيعي أو في حوادث أو انتحار..

-في الوقع يا سيدي هذا ما عرفته أيضًا، ولا أعلم لما قد زجّوا بي في تلك القضية..

كنت ألقي بكلماتي السابقة وأنا أترجل من موقعي للوقوف بجواره بينما أخرج هذا الحبل الرفيع من طيات بزتي لأحيطه وبشدة حول

رقبته محكمًا إمساكي به..

-لكن كل ما أعرفه أن قتلي لهم أوصلني إليك في الآخر، وأنك كنت طرفًا مع خامس الأفراد في تلك القائمة لتنفيذ عمل ما لا أفهم طبيعته. لا يوجد أي فرد آخر أمامي سواك الآن، إما أن تخبرني بالحقيقة أو أزهق روحك في الحال..

مختنقًا أقسم لي أن يخبرني كل شيء، فجعلني أتيح له أن يتنفس قدرًا ضئيلاً من الهواء ليقص على مسامعي كيف بدأت الحكاية. بدا مرتبكًا وخائفًا، لكن التشبث بأمل الحياة هو ما دفعه للحديث، مشددًا على أن ما سيقوله قد يُلقي بنا سويًا في المهالك..

-سيدي أنا هو الهلاك بذاته قائمًا بين يدك.. فإما أن تخبرني وتنجو منهم، أو تستعد لأن تهلك الآن..

-كل هذه الشخصيات، باستثناء الأخير، عملوا مع الخامس في صفقات مشبوهة، كل ما أعرفه أن تلك الصفقات تمت مع منظمة تابعة للوبي غربي، وكل الأعمال تصب في إحدى الدول في الشرق الأوروبي.. أنت تعلم بالتأكيد كيف كان التعامل، ومَن الوسيط، أنا كنت مجرد الساتر لتمرير الأموال لهم من الداخل للخارج والعكس..

-ولماذا إذًا تمّ إصدار أوامر بقتلهم، وأوكلت أنا بذلك؟.. مَن أصدر تلك الأوامر؟..

-كل ما أعرفه أن المنظمة الخارجية التي يتعاملون معها أرادت السيطرة على كامل أعمالهم بالخارج، لكن هؤلاء الرجال رفضوا ذلك، فهم رغبوا بالعمل المتبادل، لكن دون أي سيطرة أو توجيه من أحد. فالعمل بينهم كان تبادليًا وليس فيه أي سيادة من فرد على الآخر، وهذا ما تغيّر في الآونة الأخيرة..

-ولماذا تم اختياري أنا لذلك؟..

-لا أعرف، كل مأ أعلمه عنك أنك مصرفي، ربما تكون مختلسًا أو مرتشيًا، لكن لا أعلم أنك قاتل مأجور، ولا أعلم لمَ قتلوهم.. أنا دوري محصور في تيسير التدابير المالية فقط، أقسم لك أن هذا كل ما أعرفه عن الأمر..

-إذًا أريد أن أعرف كل شيء عن تلك المنظمة، وكيفية وصول الأموال لها؟..

-حسنًا، كل شيء موجود في خزانتي الخاصة في غرفة المكتب، سأذهب لآتى لك بما تريد..

لم أتركه يتحرك وحيدًا، بل تحت تهديد السلاح، تبعته كظله وقمت بفتح تلك الخزانة بمنتهى الحرص لأجد فيها مستندات كثيرة أردت آخذها فوجدته يمنعني بحذر..

-لا انتظر ليس كلها لهم.. سأعطيك ما يخصهم، أما بقية الأوراق فهي

تخص أناسًا آخرين غيرهم وتخصني، فلا تفضحني بين عملائي.

-في الواقع أنا الوحيد الذي يحق له التقييم الآن، وأنا الأجدر بتحديد ما يخصني وما يخصك..

أنهيت كلمتي تلك موجهًا ضربة قوية له أسقطته أرضًا، وقمت باستدعاء زميلي الثالث الذي تولى عملية شنقه معلقًا في بهو المنزل الرئيسي في مواجهة الباب الذي تركناه موصدًا بعض الشيء، بينما أخذت كل الأوراق التي جمعتها وسرقت بعض الأشياء الثمينة من المنزل لتبدو حالة سرقة أفضت لوفاة، عائدين أدراجنا. لكن لكي أكون منصفًا عليّ أن أشيد بحرفية زميلي هذا، فقد أتم العمل على أكمل وجه لأطمئن من خلاله على جودة الطاقم الذي دعمني به سيدي لأحدد بعدها موعدًا جديدًا معه بعد نجاح مهمتنا تلك..

*****

الفصل التاسع

حددت موعدًا جديدًا مع سيدي، لكن تلك المرة لدينا معلومات أكثر وضوحًا عن خصمنا الحقيقي ونواياه، بالإضافة للمعلومات الجديدة، وأيضًا معلومات أخرى تضع الكثيرين تحت طائلة المساءلة. لكننا هنا فقط سنضعهم في موضع الابتزاز من أجل إخضاعهم في النهاية لنا حسبما تدار اللعبة دائمًا الغلبة للأقوى. وجدت كل آيات الشكر من سيدي الذي استقبلني بمنتهى الحفاوة لا لشيء ولكن للهدية الثمينة التي قدمتها له من ملفات أشخاص هم في موضع الندية بالنسبة له أو من الصعب الحصول على أي مستندات تضرهم، لكنها الآن بين يديه فهذا هو كنزي الثمين الذي تحصلت عليه من خزينة هدفي السابق علّني أحظى بأي أنواع الرضا لدى سيدي وأيضًا لأقدم له بعض آيات العرفان بالجميل، لأجد كل هذا جليًا على محياه..

-أهنئك يا فتى، عمل رائع قمت به أنت ورفاقك في المرة السابقة. حتى المعلومات الإضافية سيكون لها مردود جيد عنك..

-أنا رهن إشارتك يا سيدي..

-لا أنت عند حسن ظني.. الآن عليك أن تنتقل إلى الخطوة التالية..

-وما هي يا سيدي؟ أنا جاهز للتنفيذ..

-إنها فاتنتك.. عليك أن تُخفي أي أثر لوجودها هنا..

-فقط يا سيدي أخبرني بموقعها ودع لي إنهاء الأمر..

-إليك كل ما تحتاجه هنا.. سيكون برفقتك فريق المرة السابقة.. وأي دعم تطلبه من الرجال..

-حسنًا يا سيدي.. سنحتاج فريقًا للتنظيف..

-كل ما تحتاجه ستجده..

انتهى اللقاء، لنبدأ سريعًا في الخطوة التالية، فقد اقتربت من النهاية بشكل كبير، كل خطوة الآن يجب أن تكون محسوبة بشكل دقيق وفي موقعها السليم..

*****

عدت لفريق الدعم خاصتي، أطلعوني على كل المعلومات حول موقع إقامتها، فرجل التكنولوجيا لدينا لديه كل شيء يمكن أن تحتاجه من معلومات. حددنا خطتنا وقررنا الشروع في التنفيذ في مساء نفس الليلة، فالسرعة يجب أن تكون سلاحنا، فمقتل المصرفي سيكون له رد فعل لديهم، لذا علينا أن تكون خطواتنا بوتيرة أسرع من وتيرتهم لنتحول من رد الفعل إلى الفعل، فكم يشعرنا هذا بروعة مقعد القيادة في أي مهمة أقوم بها، فكم أكره أن أكون مجرد أداة تسير ضمن القطيع بدون أي تفكير أو إرادة في الخيار، أنا لا أحب أن أكون مُسيرًا ولكني

أفضل أن أكون مُخيرًا، والأفضل منهما صنع القرار بدافع داخلي بدون أي شيء آخر..

علمت أن فاتنتي تتواجد في إحدى الفلل بأطراف المدينة الساحلية التي قطنت بها مؤخرًا، فيبدو أنهم من البداية يعلمون بذهابي لهناك من أجل التخفي مرة أخرى. جعلني هذا أتأكد أنهم خططوا لكل شيء بشكل استباقي إلا شيئًا واحدًا هو سيدي، وأيضًا استجوابي للقتلى، مما جعلني أقف الآن أمام مسكنها لأباغتها في عقر دارها للمرة الأولى..

بملابس عصرية وسيارة رياضية تقدمت بمنتهى الثقة إلى محل إقامتها. أوقفني طاقم الحراسة لدى البوابة مندهشين من رؤيتي، لكنني أخبرتهم أنني هنا لرؤية سيدتهم فقط لا أكثر. أخبروها بقدومي، في حين قاموا بتفتيشي أكثر من مرة دون أن يجدوا أي شيء، لأنني حقًا لا أحمل أي نوع من الأسلحة معي. فالسلاح الحقيقي هو العقل في تلك المعركة التي ستدور رحاها بيني وبينها..

اصطحبني أحدهم إلى داخل الفيلا ثم إلى البهو الفاره بداخلها ليتركني هناك أنتظر قدومها. اخترت الأريكة التي تتوسط المنظر العام للبهو، جلست بكل ثقة أتأمل المكان الذي لفت انتباهي وبشدة وشرعت أتأمل الموقع حولي أدرس كل كبيرة وصغيرة به، وأيضًا لأصفي ذهني بالتفكير في أي شيء آخر، إلى أن وجدتها تأتي إليّ متأنقة كعادتها، نهضت في استقبالها مصافحًا إياها. حاولت أن أكون أكثر كلاسيكية

ورُقيًا وقبّلت يدها على غير عادتي. قبل أن أجلسها بنفسي على الأريكة المناظرة لي لأبدأ أنا بالحديث:

-لم أكن أتوقع رؤيتك بتلك الأناقة حتى في المنزل..

-أبهرني قدومك إلى هنا.. الآن أيقنت أنك من قتل المصرفي.. لكنك استغرقت وقتًا طويلاً للوصول لي على كل الأحوال.. لكنني توقعت أن تكون المدة أطول من ذلك..

-أرجوكِ لا تبالغي في مقدار ثنائكِ على نفسكِ.. في الواقع استغرقت الوقت من أجل الوصول إلى محركك الرئيسي في تلك اللعبة..

-هل هذا يعني أنك عرفت مقري منذ البداية..؟

-بل علمت ما هو أكثر.. يمكنك رؤية ذلك بنفسكِ...

أنهيت جملتي وأنا أعطيها هاتفي النقال، لتطلع على الملف المفتوح أمامها. لم يكن إلا ما أرسله لي سيدي في البداية من كافة المعلومات عنها، وجدتها تتفحصها بمنتهى العناية، وعلامات الإعجاب تبدو جلية على وجهها من قدرتي على معرفة كل ذلك عنها. بينما أنا لا أبدي أي ردة فعل، فقط قسمات وجه جامدة بدون أدنى ملامح أو عواطف يمكنها أن تفهم منها موقفي..

*****

في الخارج بدأ أصدقائي العبث بطريقتهم الخاصة، تراهن الثاني والثالث حول أي منهما سيقوم بصيد أكبر قدر من العصافير البشرية التي تقوم بحمايتها. حمل كل منهما بندقية قنص عالية المستوى واتخذا مواقعهما من أجل بداية حفلة الصيد، بينما صديقي الأول هو من يحدد الأهداف لهما ليبدآ تلك الرحلة من الخطوط الخلفية إلى الأمامية.. بينما يخبروننى بكافة المستجدات التي تحدث من خلال السماعة الرقيقة للغاية التي زرعتها بأذني دون أن يلحظها أحد لكي نكون على تواصل دائم..

*****

انتهت الفاتنة مما قرأت لتضع على وجهها ابتسامة مصطنعة قبل أن تنظر لي بهدوء قد جاهدت كثيرًا لترسم ملامحه على محياها، ثم أعادت إليّ هاتفي قبل أن تعدّل من وضع جلستها..

-حسنًا، ولماذا أتيت اليوم؟.. هل تريد مني أن أخبرك بمن خلفي..؟

-لا، لقد أتيت من أجل الأيـام الخوالي.. فأنا بالفعل قد علمت مَن خلفك.. لكني أريد أن أعلم نواياه..

-أتعلم شيئًا.. حقيقة أنت أحد أفضل الذين عملت معهم.. وأحد أفضل الرجال الذين شاركوني في فراشي ولو لليلة واحدة..

دائمًا هي مراوغة ممتازة، تسعى لتطري مسامعك بعذب الحديث

حتى تتسلل إلى داخل مشاعرك بمنتهى الهدوء، لتتمكن من السيطرة على مقاليد الحديث القائم، لكنني ابتعدت عن تلك المراوغة سريعًا..

-يسعدني هذا الإطراء.. لكن..

-انتظر.. حقًا عليك أن تصدقني.. أنا مجرد مأجورة أنفذ ما يطلب مني.. أسندت لي تلك المهمة مقابل نظير مالي أكثر من رائع.. قبلت بها دونما أي استفسار مثلك تمامًا لا يوجد سبيل لمعرفة النوايا.. فقط المال مَن يحكم..

-لكنكم عبثتم معي..

-عزيزي لا تأخذ الأمر على محمل شخصي، فأنا في البداية تعجبت من قرارهم لاختيارك، فبإمكاني إتمام الأمر بمفردي، لكنك كنت أكثر من مبهر، مما جعلني أعلم لماذا وقع اختيارهم عليك أنت..

-حسنًا إذًا.. أنتِ بلا أي نفع لرجل مثلي فلا جديد سأصل إليه من خلالكِ..

-وماذا تفعل بما لا ينفعك...

-في حالتكِ تلك أتخلص منكِ..

-وهل أتيت إلى هنا لتفعل ذلك.. ألا ترى أين أنت..؟

أطلقت ضحكة عالية لم تخل من غنج أنوثتها، قبل أن يدلف أحد

رجالها إلى البهو مسرعًا ليقوم بإخبارها بشيء ما سرًا، لتتغير كافة ملامح وجهها من السخرية إلى الغضب الشديد، قبل أن أقاطعها أنا في الحديث تلك المرة:

-نعم أنا من تسببت في كل تلك الفوضى..

أنهيت كلمتي مع رصاصة قد اخترقت جبهة رجلها القريب منها.. فقد كنت أسمع تمامًا ما يدور بالخارج وأخبروني أنهم تحت السيطرة، فقط أطلق إشارتي لإنهاء حياتها.. فموقعي لم يكن اعتباطيًا فقد كنت أجلس معطيًا ظهري إلى نافذة كبيرة يرى من خلالها رفاقي ما يحدث في الداخل، بينما هي تجلس مواجهة لهم. في هذا الوقت ارتفع صوت إطلاق النار بالخارج مع تدخل فريق التنظيف الذي طلبناه لدعمنا ليقتحموا كل ما تبقى من الفيلا. شيء قد ترى شبيهه في أفلام الحركة، سيارات دفع رباعي مصفحة تقتحم البوابة الرئيسية، وأمطار من الرصاص تمطر كل من بالداخل من كل حدب وصوب، كل هذا لم يستغرق إلا دقائق معدودة انتصر فيها عتادنا وعدتنا التي تجاوزتهم بمراحل.. بينما أشعة الليزر الصادرة من أسلحة الصيادين اللدودين تدور فوق جسدها ورأسها.. لتتكلم هي بارتجاف قليل:

-وهل ستقوم بقتلي، أم ستترك الأمر لهم..؟

-في الواقع أنا لا أقتل امرأة قد عاشرتها..

مع كلمتي تلك انطلقت رصاصتان لتخترق إحداهما رأسها والثانية صدرها.. وكأن رفيقيّ تسابقا في قتلها.. ثوانٍ معدودة وصل خلالها فريق التنظيف. أعلم أنهم قد أنهوا مهمتهم الأُولى بالاقتحام. لينضم بعدها فريقي الثلاثي المصغر لنقوم بمسح المكان بالكامل والبحث عن أي شيء قد يفيدنا، بينما صديقي الأول قد صادر كل ما هو إلكتروني ليقوم بفحصه لاحقًا علّه يفيدنا في أي شيء. بعدها تركنا المسرح لفريق التنظيف ليزيلوا آثار كل تلك الفوضى التي عمت الأرجاء..

*****

الفصل العاشر

بالقضاء على تلك الفاتنة كانت كل الأذرع المعلنة لدينا محليًا للعابثين بي وبنظامنا قد قُضي عليهم. علينا الآن أن نتم كامل المهمة على المستويين الداخلي والخارجي. وبشكل سريع تم تقسيم المهمة إلى شقين كنت أنا ورفاقي في الجانب التنفيذي للشق الثاني فيها..

على متن رحلة خاصة انطلقنا إلى بلاد الشرق الأوروبـي. الهدف الموصى به هو مَن قام بتوظيف تلك الفاتنة والعبث معي بمنتهى الحرفية. فحقًا كاد أن يوصلني إلى مرحلة الجنون. ما علمناه أنه يقيم بأحد الفنادق الفارهة في هذا البلد، بل من باب الدقة هو مالك الفندق الخفي. قسمنا عملنا لمهمتين الأولى هي الاختراق والثانية هي التنفيذ..

توجب علينا السرعة في التنفيذ قبل أن يتم اكتشاف وجودنا في تلك البلاد، وقبل أن ينتقل هدفنا إلى موقع آخر بعدما حدث لرسولته على أيدينا. المهمة الأولى قام بها خبيرنا الأمني والإلكتروني، تنكر في البداية هو وثالث رفقائي في زي العاملين بالفندق. في البداية قام رجل التكنولوجيا باختراق نظام الـ IT الخاص بالفندق ليقوما بعدها بالتسلل سويًا إلى غرفة الوصلات الرئيسية، ومنها تسلل إلى نظام

المراقبة الخاص بالفندق. بعدها استمرينا في المراقبة بشكل مستمر ندرس كل تحركات الرجل. الحراسة تظل رهن إشارته أمام الجناح، يلازمونه حين مغادرته إلى أي موقع آخر، فهم لا يفارقونه عند عودته، لا يبارحون باب جناحه أبدًا ولا حتى يدلفون إلى الداخل إلا إذا طلب من أحدهم ذلك. لكن الشيء الجيد أن تلك المنطقة لم تكن كاميرات المراقبة تغطيها بشكل كامل مثل باقي المواقع في الفندق..

حددنا هدفنا وكيفية التعامل معه ومع رجاله، كنا ننتظر الأوامر النهائية للتنفيذ والتي ستأتي مع إتمام الشق الأول الذي يباشره رؤساؤنا في العمل. قرابة الأسبوع من المراقبة والانتظار حتى تملّك منا الشغف. فالملل لم يكن ليعرف طريقه إلينا ولكني كنت شغوفًا لإنهاء ما عاهدت نفسي على تنفيذه منذ البداية. فزملائي مهما كان شغفهم أو ولاؤهم فهم يقومون بعمل مطلوب منهم يتقاضون أجرهم عليه في النهاية، بينما أنا أقوم بثأر شخصي من رجل قد تسبب في تدمير حياتي بالكامل وتحويل مسارها بهذا الشكل لأتحول من الصياد لفريسة تسعى لاقتناص صائدها..

في النهاية جاء إلينا الضوء الأخضر للتنفيذ، قسّمنا العمل علينا، الأول قام بالمراقبة والتسلل لأجهزة عملهم من أجل تأمين دخولي وخروجي من الفندق بدون أن يراني أحد. الثاني اعتلى قمة المبنى المقابل ليقوم بتأميني ومراقبة الجناح الخاص بهدفي من منظاره

الخاص. الثالث دخل معي إلى داخل الفندق، تسللنا من الجراج السفلي ولوجًا إلى المخازن الرئيسية مرورًا بالمغسلة إلى أن وصلنا لهدفنا، مصعد الصيانة الذي سلكناه إلى سطح المبنى في رحلة لم تكن بالهينة ما يزيد على الخمسين طابقًا صعدناها عبر الدرج. لنتمركز في أعلى نقطة في الفندق قبل أن نهبط منه مباشرة عن طريق الحبال إلى الجناح الخاص الذي يقطن به هدفي، فقد كان يقطن في الطابق السكني الأخير الذي يفصله عن السطح طابقان آخران كان أحدهما خدميًا، والآخر تحت التشطيب..

تسللنا إلى داخل جناحه من نافذة جانبية تطل على إحدى غرف الجناح الأقل أهمية بالنسبة لهدفنا. قمنا بقص الزجاج بتلك الآلة المخصصة لذلك، الشفط أولاً لإحكام الإمساك به، وبعدها القص بقطر دائري يسمح لنا بالمرور إلى الداخل. أتممنا عملنا بتناغم كبير بيني وبينه، هو يثبت اللوح بالماسك المغناطيسي وأنا أقصه، إلى أن انتهيت. بعدها خلعنا الزجاج سويًا وتسللنا للداخل ثم أعدنا الزجاج لموضعه من جديد بشكل مؤقت. انتظرنا قدومه، بينما الأخبار كانت تأتيني من عضو المراقبة، أخبرنا أنه قد وصل إلى الردهة التي يقع بها الجناح الملكي الذي يقطنه..

انتظرته في البهو الداخلي للجناح، بينما زميلي تخفى في الردهة المتاخمة لباب الجناح لإحكام إغلاقه بعد أن يصل الرجل. وبالفعل

دلف الرجل إلى الداخل بشكل روتيني تعلو صافرته أروقة المكان، تبدو عليه السعادة لأمر ما قد تحقق. بينما زميلي قد أمّن الباب جيدًا بغية ألا يدخل أي فرد من الأمن المحيط به إلينا.. بينما هو استمر في طريقه دون أن يلحظني، إلى أن وجدني أجلس على الأريكة الرئيسية أشهر سلاحي في وجهه واضعًا سبابتي على شفتيّ مشيرًا إليه بالصمت، بينما زميلي قد أغلق الباب الداخلي خلفه مباشرة قبل أن أوجه حديثي له:

-بالتأكيد أنت تعلم مَن أنا، وأنني لا أضيّع وقتي، أو أخطئ في أي عمل أقوم به. لذا عليك إن تجلس بصمت ودعنا نجري حديث عمل كرجلين ناضجين..

حاول أن يتحلى بالهدوء في حديثه وحركته، فتقدم بكل رصانة متخذًا موقعه في مواجهتي ليجلس بكل فخر واعتزاز واضعًا قدمًا فوق الأخرى، قبل أن يبدأ في حديثه محييًا إياي:

-تُعجبني جرأتك في القدوم إلى هنا..

قال جملته تلك ليتخلى عن هدوئه وتنتابه نوبة هستيرية من الضحك يلعن نفسه ويلعن شخصًا آخر، مشيرًا إليّ بأن أعذره، قبل أن أعاود حديثي معه مجددًا:

-أعرف نوبات الهستيريا تلك.. فهي إما للإلهاء أو للاستخفاف..

-في الواقع لا يا عزيزي.. فأنا أسخر من نفسي.. الآن فقط علمت لماذا أصرّ الواشي على أن تكون أنت من يقوم بتلك العمليات..

-لأنه أخبرني أن أنتقم له ولي منك..

-يبدو أن كليكما واهمان.. فحتى إن قتلتني لن تنجو من هنا وإن نجوت لن تنجو كثيرًا فأنا أيضًا خلفي منظمة كاملة تعمل على حمايتي..

-وأنا أيضًا خلفي منظمة تعمل لحمايتي.. بينما منظمتك التي تعمل على حمايتك في الواقع يا سيدي عليك أن تقول إنها كانت تعمل على حمايتك..

-ماذا تقصد..؟

صمت قليلاً بدون أي حديث مبتسمًا في وجهه، متأملاً علامات الغضب التي بدأت تنتابه بعد كلماتي الأخيرة قبل أن أفصح له عن الشق الأول من مهمتي..

-سيدي إنك أردت أن تعبث بنظامنا، ولكنك لم تتحصل على الإذن لفعل ذلك ممن يقودون النظام. اعتقدت أن الواشي خاصتك يمكنه تحريك كل شيء، نعم هو من الكبار، لكنه فرد واحد وأنت تعلم أنه لا توجد منظومة تعمل بشكل فردي لكنك قررت أن تخترقنا.. ومنظومتي لم يرُق لها ما قمت به من أعمال. وعلى الجانب الآخر فقد حصلوا على الإذن ممن هم فوقك من أجل إنهائك.. مقابل صفقة مالية وصفقة

عمل طويلة الأجل مجدية.. أيضًا زعماؤك لم يمانعوا ذلك فأنت أصبحت ورقة خاسرة بالنسبة لهم ورؤسائى قدموا لهم بدائل أفضل..

بدا الارتباك على محياه، فبادر إلى حل رباط عنقه في حنق شديد، قبل أن يعاود الحديث مرة أخرى بما تبقى لديه من ثقة، أو ما زعم أنها ما زالت موجودة لديه، محاولاً المراوغة للبحث عن أي حل يخرجه من هذا الموقف..

-حسنًا، يمكننا إنهاء الأمر سويًا، ماذا تريد..؟

-شيئان.. أولاً لماذا أنا؟ وثانيًا ما سبب كل هذا..؟

-أعتقد أنك عرفت الشق الأول من الإجابة، فقد أصرّ الواشي عليك لتتم المهمة، هو من أرادك وليس أنا.. ثانيًا فقد كان هذا مجال عمل ولكنهم طمعوا فأردت عقابهم..

-ولماذا قتلت الواشي..؟

-لأنه أراد أن يخونني..

ترجل من موقعه ليصب كأسًا من الخمر يريد أن يحتسيه عارضًا عليّ الأمر نفسه، لكنني لا أتناول تلك المشروبات، فعاد ليكمل عمله ويحتسي تلك الجرعات التي قد تكون الأخيرة في حياته، فمن مثله يتمتعون بثبات انفعالي كبير يجعله يبدو طبيعيًا قدر المستطاع..

-إنّ كل مَن قمت بقتلهم عملوا معي إلا الأخير، وأنا فقط أردت تطوير

العمل بأن أكون شريكهم، لكنهم لم يريدوا ذلك..

-ولماذا تريد الشراكة؟ فيمكنك أن تؤسس عملك الخاص..

-عزيزي عليك أن تفهمني..سواء وافقت أو لا، لكنكم لديكم إمكانيات هائلة قد تكون سوء استغلال أو إدارة منكم أو أنه فساد مستشرٍ في بلادكم أو جهل أو عدم قدرة على ذلك.. لكن لنتفق أنكم من الممكن أن تكونوا سوقًا استثماريًا رائعًا في المستقبل القريب وليس البعيد، وأنا أردت أن أدخل هذا السوق من خلال كيانات قائمة بل كيانات أدعمها لكنهم طمعوا..

لم تكن كلماته إلا توصيفًا صحيحًا لما يحدث في بلادنا من فساد وجهل وسوء في التخطيط والإدارة يجعلنا نقبع في المراتب الأخيرة بين الجميع. لكني لا أبالي بكل هذا، فأنا بالفعل أحد شركاء هذا الفساد. لكن عاد بذهني السؤال الذي يراودني دائمًا: ماذا لو كنت في بلد آخر بوضع وحياة أخرى غير تلك؟ هل كان مصيري سيكون قاتلاً محترفًا أيضًا؟ أم ربما أكون شخصًا آخر عكس الذي أنا عليه الآن؟ لكني طردت كل هذا من عقلي وعدت مجددًا للحديث معه..

-أتفهّم أمرك سيدي، لكن ألا ترى أن تركيبة من اخترتهم عجيبة..؟

-لا بل تركيبة سليمة.. أولهم يعمل في مجال الدواء وما أكثر المرضى في بلادكم، فهذا عمل ناجح بشكل كبير. خاصة إن كنت تملك الفرصة على الإفساد.. ثانيهما تاجر سلاح كبير، والمنطقة عندكم بأكملها هي

سوق رائع لذلك، ليس بلدكم فقط بحكم العنف والإرهاب لديكم، ولكن كل ما هو محيط بكم هو سوق خصب لهذا الاستثمار، وبالفعل أنا لي حصتي هناك، لكني كنت أرغب في زيادتها عن طريقه..

-وماذا عن السيدة..؟

-هي ومنظمتها يمكنك أن تقول إنهما عاهرتنا المقنعة، يكتبون ما نريد، يدافعون عما نريد، يثيرون الرأي العام ضد ما نريد.. قتلها لم يكن ليشكل فارقًا، لكنه كان للتخلص من كل الذيول في تلك العملية وإرباكًا شخصيًا لمن يبحث خلفنا..

-وماذا عمن ماتوا في منظمتها عالميًا..؟

-لقد طمعوا وتجاسروا علينا، فكان يجب التخلص منهم، هذا كل شيء وللحقيقة تلك السيدة لم تكن تعلم من نحن، فقط اكتفت بهذا الواشي المسئول الأمني الذي يُسهّل لها كل شيء ويأمرها في نفس الوقت مقابل الحصول على كل تلك الامتيازات وتنفيذ كل ما نرغب به..

-وماذا عن البقية؟

-رجل العقارات.. حسنًا، مجال العقارات لديكم أكثر من رائع، سواء على القطاع الاستثماري أو العمل في مجال البنية التحتية، فهذا هو مستقبلكم. يجب أن تقوموا بإحداث بنية تحتية قوية حتى تنمو بلادكم. وهو كان رجلنا، وخدمنا كثيرًا، لكنه طمع هو الآخر. ويبدو أن تلك هي

سمة شعبكم الأولى بعيدًا عن الجهل والفساد، الطمع هو ما يحرككم، يحرك هذا نحو السلطة، وهذا نحو المال، وهذا نحو الناس. كل منكم يسير بطريق مختلفة لكنه يسير خلف هواجس طمعه وشهواته..

-ورجل السياحة..؟

-قبل ثوراتكم كانت السياحة مصدر دخل جيد في بلادكم.. وإن استقررتم ستعودون من جديد، ولذا أردنا أن ندخل في لعبته.. وأيضًا كانت شركته تقوم بعملية مشبوهة من أجلنا أردنا تأمينها.. أما الأخير فمجال البترول والطاقة تتحكم به شركات كبرى على مستوى العالم، منظمات أكبر من قدراتي. لكن العميل المباشر معها هو شركات الخدمات، وهو ما نريد التحكم به، فأنتم لديكم سوق مبشر في ذلك خاصة في مجال الغاز..

-إذًا لما قتلتهم..؟

-باستثناء الأخير، فالباقون كل أرصدتهم تحت يدي في الخارج، وبموتهم آلت إليّ تلك الأموال، فهذا هو حقي نظير كل ما قدمته لهم..

نهضت من مكاني مترجلاً إليه طالبًا منه أن يعطيني كأسًا مما يحتسيه ليكون هذا في صحة عبقريته في السيطرة على الأمور. وبينما هو يفرغه لي بادرته بضربة قوية من الخلف على رأسه لأجعلها تصطدم بالبار أمامه قبل أن ألتقط إحدى الزجاجات وأهشمها فوق رأسه ثم

أسحبه وبقوة لأدفعه فجأة من الزجاج الذي حطمناه من قبل ليتهاوى جسده من هذا الارتفاع الشاهق، ليرتطم في النهاية بساحة الانتظار الأمامية للفندق صريعًا. بينما صعدت أنا وزميلي مسرعين إلى الأعلى قبل أن يدخل حرسه إلى الجناح بعد وقت قليل من أثر إغلاق الأبواب ووضع ما يعيقهم خلفها، فهذا ما قام به زميلي أثناء حواري معه، ليتم زميلنا الآخر عمله بقنص رجال الأمن الذين دلفوا للجناح سريعًا، فهذا سيعطي وقتًا قبل أن يدخل أحد آخر إلى المكان حتى نغادر سويًا سريعًا من الدرج الخلفي للفندق الذي صعدنا منه. لكننا في منتصف المسافة أبدلنا ملابسنا وارتدنا المكان مثل باقي النزلاء المنزعجين لنغادر إلى خارجه في حالة هلع كبيرة مع توجيهات مستمرة من رجل التكنولوجيا خاصتنا بالمسارات التي يتوجب علينا سلوكها حتى نتوارى عن أعين الجميع، لننهي بذلك مهمتنا في تلك البلاد ولنغادرها على الفور..

*****

المقبرة

بعد أن أنهيت تلك المهمة عادت حياتي للهدوء، لكنها لم تعد إلى سيرتها الأولى، لذا قررت أن آخذ قسطًا من الراحة بعد إذن سيدي.. رفاقى عادوا إلى أرض الوطن، بينما توجت أنا إلى أحد المنتجعات في إحدى الدول الكاريبية حيث أحد أرصدتي البنكية هناك بهوية وحياة يمكنني أن أتخفي بها لفترة ما..

فترة كانت أكثر من رائعة، لا أحد يعرفني هنا، وحسابى البنكي هنا ليس بالهين، لذا فأنا أحظى بسلطة المال وراحة البال. كما أنني لم أترك أي شيء يدفعني للهدوء إلا وقمت به من استجمام ورحلات ومقامرة ونساء، كل شيء من الممكن أن يشعرني بالسعادة والراحة.. حتى أنني لم أشعر بمرور الوقت هنا. راجعت كل ما حدث لي في الفترة الماضية، كما أنني راجعت حياتي وسيرتي الذاتية علّني أجد أي جديد أو أصل لأي قرار بشأن مسيرتي..

في النهاية هداني تفكيري لأن أتقاعد، لكن هذا لن يتم إلا بإذن سيدي، فقررت أن أعود إليه بعد أن أنهي إجازتي هنا من أجل إشراكه في هذا القرار.. لكن القدر قد عاجلني باتصال من سيدي ليقطع به صفاء رحلتي تلك..

-مرحبًا يا سيدي.. أتمنى أن تكون بأفضل حال، وأشكرك على كل ما قدمته لي من دعم في الفترة الماضية..

-مرحبًا يا عزيزي أتمنى أن تكون قد حظيت بإجازة ممتعة في تلك الفترة..

-إلى حد كبير يا سيدي.. يبدو أن هذا الاتصال يحمل استدعاءً لي..

-في الواقع نعم سأنتظرك في أقرب وقت ممكن.. لتعرف ما هي مهمتك التالية..

طلب سيدي لم يكن ليُرفض، فقمت على الفور بحزم أمتعتي والعودة من جديد للقاء سيدي من أجل معرفة ما طلبه مني، عازمًا أن تكون تلك مهمتي الأخيرة قبل أن أتقاعد رسميًا عن هذا العمل..

*****

فور وصولي حددت موعدًا للقاء سيدي. وفي موعدي كنت أنتظر في الغرفة المجاورة لمكتبه، بينما مساعده بالداخل لديه حتى يأتي لي بإذن الدخول. لم أكن أعلم ماذا يدور بينهما، لكني علمته بعد ذلك حين خرج مساعده مشيرًا إليّ بالدلوف إليه..

وجدت سيدي يجلس بطلته وهيبته التي اعتدتها عليه خلف مكتبه المزخرف بالعاج والأبنوس في أبهى حُلة يتفحص أرواقه قبل أن يشير لمساعده بالرحيل ويأذن لي بالجلوس ليبدأ هو بالحوار:

-دائمًا تأتي في الموعد..

-هذا ما علمتني إياه يا سيدي، الالتزام بالعمل والمواعيد من أهم القوانين..

-حسنًا، كنت فقط أود تهنئتك، لكن يبدو أن لديك عملاً جديدًا. أنا قدمت إليك خدمة سابقة، والآن عليك أن تردها لي، لكني سأعطيك مقابلاً لها..

أخرج سيدي ملفًا من درج مكتبه وأعطاه لي قبل أن يضيف إليه ملفًا آخر بحوزته، بالفعل يبدو أنه قد وصل إليه منذ قليل قبل أن يعطيهما لي ويبدأ بشرح مهمتي الجديدة...

-الملف الأول لشاب مهم بالنسبة لنا.. المطلوب منك حمايته. أحدهم أصدر قرارًا بتصفيته.. الملف الآخر لثلاثة تم تكليفهم بقتله. عليك حمايته منهم وتصفيتهم إن لزم الأمر..

-لكن سيدي أنت تطلب مني مهمة مغايرة.. هذا..

-هذا لن يُحدث أي فارق. فأنت أمام الجميع غير موجود. وهذه خدمة وليست مهمة، أي أن خيار الرفض مستبعد..

-كما تريد يا سيدي..

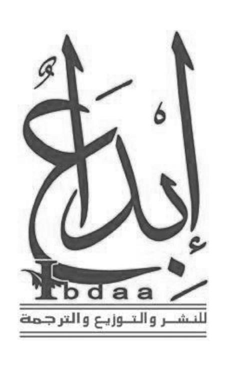
أنهيت لقائي مع سيدي ثم عدت لأدرس ملف مهمتي الجديدة كما هي العادة. الشخص المطلوب مني حمايته هو سارق سابق للآثار، شاب في

منتصف الثلاثينيات، مُطلق وعاد لزوجته منذ أيام قليلة، لنقل عليه إنه عربيد سابق، زير نساء. عمل في مجال السياحة، خريج كلية الآثار، بدأ حياته كمرشد سياحي، ثم تعاون مع أحد كبار رجال الأعمال في تثمين وسرقة الآثار. تحولت حياته من النقيض للنقيض، إلى أن تعاون مؤخرًا لكشف إحدى أهم المقابر الأثرية التاريخية بعد أن كشف أسرارًا كثيرة ومرّ بمغامرة مثيرة لشخص مثله عبر أبواب تلك المقبرة.. لكنه تسبب أثناء ذلك في الإطاحة بعدد من الشخصيات الكبيرة..

ليصبح الوضع الآن أكثر دراما، فأحد الشخصيات الكبيرة قد أصدر قرارًا بتصفية فتى المقبرة هذا.. بينما سيدي أصدر الأوامر لي من أجل حمايته من أنيابهم. أي أنه الآن يتبعه أربعة أشباح، ثلاثة شياطين يريدون قتله، وأنا ملاكه الحارس من أجل حمايته.. لكن أي الطرفين سينتصر؟..

هذا ما لا أعرفه بعد...

تمت



للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com